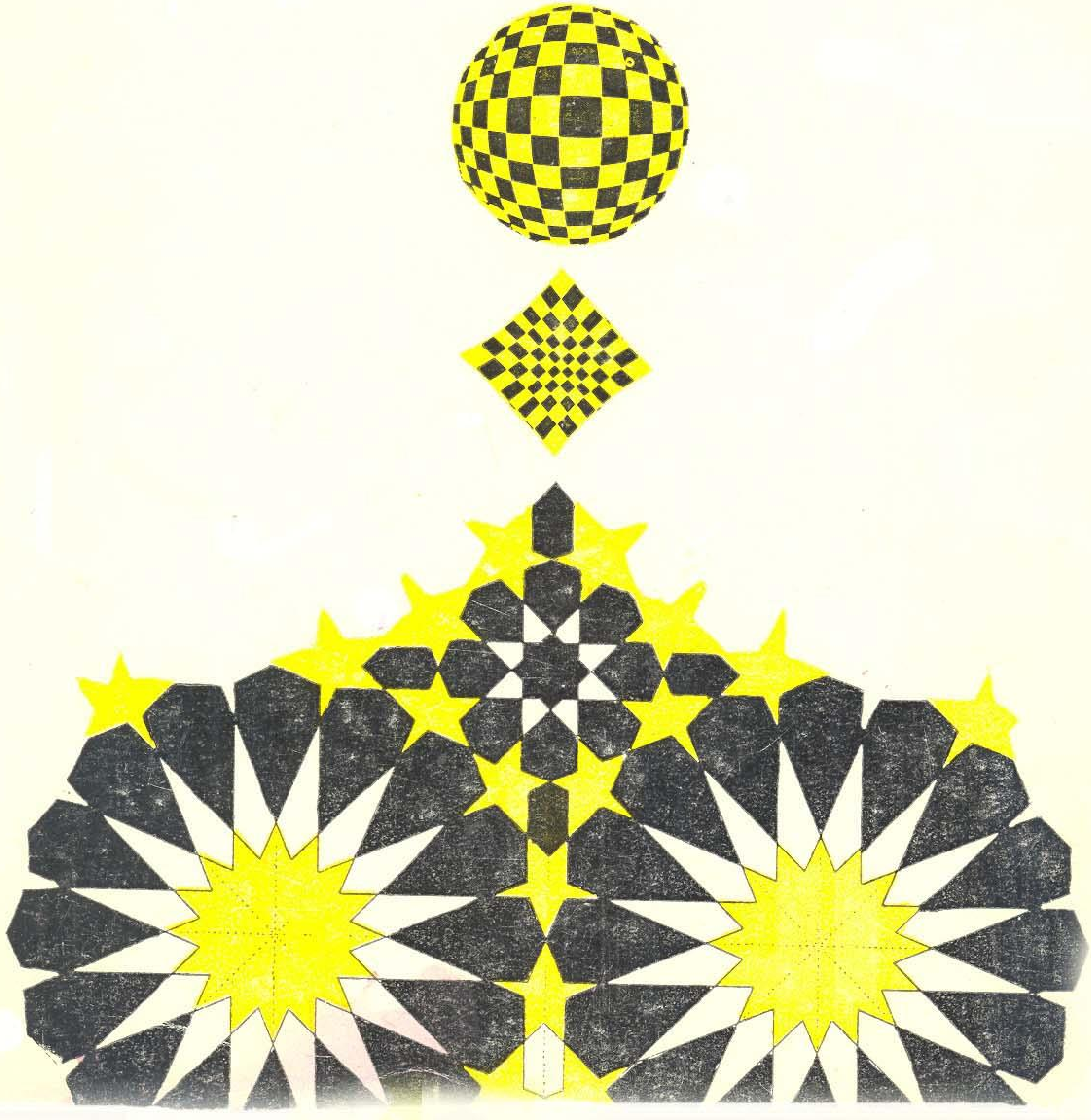
الآداب الأجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد ٢٨ — السنة الثامنة — آب ١٩٨١



الآداب الأجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق

العدد ٢٨ - السنة الثامنة - آب ١٩٨١

الادارة : اتحاد الكتّاب العرب - دمشق - أوتوستراد المزة - مقابل بستان الطلائع - هاتف ٦٦٧٢٩٩ - ٦٦٧٣٩٩ ص.ب ٣٢٣٠

تصميم الغلاف : نذير نبعه

* جميع المراسلات تكون باسم رئيس التحرير .

* تتوجه رئاسة التحرير الى الادباء والمترجمين في الوطن العربي لتزويدهـا بمواد مترجمة من الادب العالمي في مجالات القصة والشعر والمسرحية والنقد والبحث الادبي ، وتقديم او تلخيص الكتب ذات الشهرة والفائدة الفنية والفكرية . ويرجى من الاساتذة الذين يرسلون المواد المترجمة ان يرفقوها بالاصل ، من اية لغة كانت ، او الاشارة الى مرجعها اذا كان مشهورا . وتعتذر الادارة عن اعادة هذه المواد سواء نشرت او لم تنشر .

الشاعر الألماني

هانس بوتشر

○ ترجمة : د. شاكر مطلق

تعريف بالشاعر الالماني (هانس بوتشر)
المسمى والمعروف باسم « يؤاخيم رينغل نانتس »

ان المكانة التي شغلها (رينغل نانتس) الشاعر ـ الرسام ـ الممثل الغنائي ، على الكثير من مسارح المانيا ـ سويسرا ـ فيينا ـ براغ ، هي مكانة من الصعب تحديدها اذا ما التزمنا معايير أدبية كلاسيكية لذلك ، حيث لا يمكن ـ حسب رأينا ـ تقييمها بشكل صحيح دون فهم للظروف الحياتية والاجتماعية التي عاشها الشاعر شخصيا والتي عاشتها المانيا بشكل عام في مطلع القرن العشرين ، ودون اظهار البعد الانساني العميق للشاعر في قصائده التي قدمها لنا بقالب غير مألوف ، قالب ساخر مغرق في النقد والتهكم المكشوف والمبطن ، متلاعبا بالالفاظ كما يتلاعب الممثل في السيرك بكراته : قاذفا اياها في الهواء ببراعة وهدوء ، محاطا بجو من الموسيقى الصاخبة ، غير الجدية مثيرا الدهشة عند المتفرجين ولو لفترة قصيرة حتى يبدأ عرض المشهد الذي

قد يطير بالمتفرج « القارىء هنا » بعيدا كل البعد عن المشهد الاول وينقله فجأة من انفعال معين الى آخر ، كأن تعرض مثلا مشاهد للدب القطبي المروض ، وفجأة من افريقيا البعيدة مشاهد للفيلة أو الليوث وتغادر السيرك وتبقى الانطباعات عن تلك المشاهد عندك تتراوح بين العجب والدهشة واللامبالاة دون أن يخطر ببالك الجهد والمعاناة والتمارين الشاقة التي لزم القيام بها حتى تمكن الممثل من أن يقدم لك تلك المشاهد القصيرة المتقنة التي تبدو سهلة ظاهريا وهي صعبة عمليا (السهل الممتنع) ٠

هذا هو حال (ر ٠ ن) في قصائده التي تبدو سطحية ـ مسلية ـ ساخرة ـ فيها نقد ذاتي كثير وعميق وحيث تبدو وليدة نزوة عاطفية عابرة ، وان كانت غالبا بل وفي معظم الاحيان وليدة معاناة انسانية عميقة وحزنا ساخرا واحتقارا لمجتمع القشور والمظاهر ، وتبدو عند الشاعر رحلة الاغتراب في الذات ـ رحلة الاغتراب في المجتمع وفي الحياة ٠

يظهر (ر ٠ ن) بلباس رسمي وقبعة سوداء ، ثملا بعض الشيء باحدى حفلات ما يسمي بالمجتمع الراقي ، وفي ظهوره احراج لسيدة البيت لانه شاعر العامة ـ شاعر الشعب ـ شاعر الحانات الرخيصة والتعابير القاسية بل البذيئة أحيانا ، فتتقدم سيدة البيت نحوه وتأخذه جانبا وتقول: (لاأذكر يا سيدي بأنني قد قمت بدعوتك لهذا الحفل)

فيجيب (ر ٠ ن) بدعابته الساخرة :

سيدتي انك ليس فقط لم تقومي بدعوتي ، ولكنني قمت طبعا برفض تلبية دعوتك ·

هذا هو (ر · ن) يعجب به الكثيرون ولكن في ظهوره احراج لايليق بمجتمع متزمت كمن يقرأ مجلة بلاي بوي من المثقفين أو ممن يدعون كونهم كذلك ، ويتظاهرون انهم اشتروها ، ليس لرؤية صور الاجساد العارية الجميلة تتمدد على صفحاتها الصقيلة ، وانما لقراءة مقابلة للفيلسوف هربرت ماركوزه مثلا أو لقراءة تحقيق عن حياة طبيعة الغابات - كما يسمي - (البرت شفيتسر) المهم أن تجري عملية التمتع بشعره الساخر النقدي في الخفاء ، كأن توضع أشعاره بين طيات كتاب يحمل اسم (غوته) أو (هاينرش هاينه) أو (ايشندروف) وللتمويه فقط ·

هذا المدخل - حسب رأيي - ضروري لفهم شعر وابعاد هذا الشاعر الرائع · والروعة هنا حكم غير علمي ، فأنا لا أقول عن عمد :

الشاعر العبقري الواسع الافق والشاعر الخالد ليس لعدم اعتقادي الشخصي لوجود ملامح لهذه الصفات عنه ، ولكن لان هذا سيكون ضد رغبة هذا الانسان ، الشاعر الذي ابتدأ حياته كصبي على سفينة ، وأصبح ما بين - ١٩١٤ - ١٩١٨ - بحارا ثم قائدا لمركب كاسح للالغام ·

في عام - ١٩٢١ - حقق نجاحا باهرا على مسرح برلين الناقد المسمى (صدى ودخان) من خلال عرضه المسمى (هانس فون وولتسوغنس) وتتالت عروضه الناجحة التي تصل ذروتها في قصائده الشديدة السخرية اللاذعة النقد في (قصائد التمارين - السويدية) وفي الشخصية التي ابتدعها للبحار المسماة (كوتل دادل دو) هذا الاسم الغريب حتى على الأذن الالمانية قريب من مشاعر ملايين العمال وخاصة البحارة وأولئك الذين يرون أنفسهم بين شفاه هذه الشخصية وهي تتجول في طول البلاد وعرضها : في احتفاله بأعياد الميلاد على طريقته الخاصة - في تجولاته بالميناء - في عجزه عن الابتعاد عن السفينة وعن عالم الميناء لدخول أرض بدون أمواج وركوب القطار والحافلة ، بحنانه وعطفه على الاطفال الكبار وقص الاساطير المبتدعة منه لهم عليهم وعلى طريقته الخاصة :

يحيونه بمختلف اللغات
لانهم من مختلف صقاع الارض والشعوب
وهو البحار الدائم التنقل
يضع يديه في جيبه ويخرج لهم هدية ما ،
يحملها دوما معه

زجاجة من الويسكي - علب الثقاب - طلقات مسدس
ويعطي كلا منهم دولارين ، ويعطيهم ما جمعه في أسفاره :

(أنيــاب الفيلة من الكمــرون
دجاجة من الملايا مطبوخــة بالكونياك
من التيبت قصة لكارك ماي
رباط عنق لاحد الاسكمو مصنوعا من شعر زرافه
وقطعة متحجرة من جمل مــا ٠

يعلمهــم :

(كيف يرقصــون
كيف يصنعون السفن ويمضغون التنباك
وأحيانا بغياب نسائهم عنهــم ،
يشم لهم مرساة وطيبا على أيديهم وأرجلهم
ويتابع حكاية الاساطير التي يختلقها بمرح لهم
ويشرب الخمــرة بكثــرة ٠
وتمــر الســاعات
الاطفــال يبكون : الفتيات يثقل كلامهن
الام ، منذ فترة تحت الطاولة (من شدة السكر)
وهــو كان قد تقيء مرتين
وحتــى لايزعج هذا الهدوء أكثر من ذلــك
يترك المرأة وأولادها وينسل بهدوء
ويبقــى يفكر ، ساعات بحد اجتياز صقيلية ،
بالساعات الحزينة لاسره ٠٠٠٠٠

كما رأينا في هذه الصورة فالشاعر هنا شديد الارتباط باولئك الذين لهم مشاكل حياتية تشابه مشاكله وهم غالبا من الضائعين والبؤساء الذين يعيشون على هامش الحياة الاجتماعية وهو يعتبرهم أسرا له ٠

والآن بعضا من نماذج شعره الذي يصعب جدا ترجمته لسببين :

١ ـ خاصية اللغة التي يستعملها والتي يصعب حتى على الكثيرين من الالمان فهمها بشكل دقيق ٠ فهي رموز تخفي وراءها عوالم كاملة وقد تعبر فعلا كلمة واحدة عن حالة يتطلب شرحها الصفحات ٠

٢ ـ ان الشخصيات التي يحركها (ر ٠ ن) على مسرح الحياة ، والتي تعبر عن مشاعره وافكاره ، هي أنماط حية تعيش حياتها الخاصة ولكن ليس من السهل على من لم يتعرف اليها عن قرب ، ان يفهم كلماتها وتصرفاتها المتناقضة ٠

ورغم ذلك وبعد ان قضيت أعواما عديدة من حياتي في نفس الاماكن التي عاش فيها الشاعر وعرفت نفس الحانات التي كان يلجأ اليها وهي غالبا لاتبعد عن السفينة الراسية الا مسافة قليلة في الميناء ، وتعرفت الى وجوه العمال ، بناءة السفن ، والبحارة ، والآفاقين والعاملين في تلك الاماكن التي يلفها ضباب (هامبورغ) في الليالي الباردة الحزينة ـ السعيدة ٠

سأحاول القيام بهذه المهمة الممتعة الشاقة :

مختـــارات

« طابـع بريـدي مـذكـر »

طابع بريدي مذكـر
عاش شيئا جميلا قبل أن يلتصق
لقـد لحستـه أميرة جميلة
وأيقظت بذلك فيـه الحب
لقـد شاء أن يقبلها مـرة أخـرى
ولكـن كان عليـه أن يسافـر
وهكـذا أحبهـا عبثـا
هذه هـي مأساة الحيـاة ٠

كما نرى الصورة بسيطة وبسيطة جدا ، فتاة تلصق طابع بريدي على رسالة ولكن (ر ٠ ن) يخلق من ذلك حدثا ويعرضه علينا بشـكل طريـف وجميـل ٠

قصة حـب غريبـة عبثيـة ٠

صورة أخرى من نفس الانموذج :

« علبـة نشـوق : (زغـوط) »

كانت هناك علبـة للنشوق

قد حفرها فريدرش الاكبر (القيصر)
مـن خشب شجرة جـوز
وكانـت طبعا فخورة بذلك
وجاءت ، زاحفة ، دودة الخشب اليهـا
واشتمت رائحة خشب الجـوز
فحدثتها العلبة باسهاب عن فريد رش الاكبر
وعن عصره
حدثتهـا عـن كرمـه
فأصبحت الدودة عصبية وقالـت :
بينمـا ابتدأت بحفر العلبـة ،
مـاذا يعنيني فريد رش الاكبر ؟؟

« النمـــل »

لفهم هذه القصيدة يجب الاشارة الى أن (ألتنا) المذكورة في النص هي احدى ضواحي مدينة هامبورغ في شمال المانيا الغربية الواقعـة على نهـر الالبـه ويصلها بالمدينة شارع طويل ٠

(في هامبورغ عاشت نملتان
لقد أرادتا السفر الى اوستراليا
وفي (التنـا) على الشارع الطويـل
آلمتهمـا أرجلهمـا

فاستغنيتا ـ حكمة منهما ـ عن الجزء الاخير الباقي مـن الرحلـــة

الروعة في هذه القصيدة وعنصر المفاجأة والسخرية فيها في القرار الحكيـم بالغاء الجـزء الاخير من رحلة تبعد عشرات آلاف الكيلو مترات بعد سير بضعة أمتـار فقـط .

وبنفس هذه الروح الساخرة يتحدث الشاعر في قصيدة صغيرة عن (البوميرانغ) وهي آلة للصيد عند سكان استراليا الاصليين تصنع من الخشب مقوسة قليلا تعود من حيث قذفتها اليداذا لم تصطدم بالطريدة وتصرعها ، فلنسمع ما يقوله لنا عنها :

(بوميرانــغ)
كان هناك بوميرانغ ،
كان طويلا بعض الشيء
طـار مسافة قصيرة
لكنــه لم يرجــع
الجمهور ـ ساعات بعد ذلـك ـ
ما زال ينتظر عــودة البوميرانغ)

ولننتقل الــى صورة اخرى يصور فيها امرأة عجوز تبحث في القمامة عن أشياء للجمع ، ونقتطف الجزء الاخير منها حيث يقــول :

(ماذا كانت حياة هذه الساحرة (الشمطاء)

ربما كانت قد تكلمت اللاتينيــة ،
ربماً قامت وصيفة بطلاء أظافرها (في يوم ما)
ربما زحفت ـ منذ آلاف السنين
كدودة الاسكاريس (حيــة البطــن)
في أمعــاء أحد ســكان المريــخ ٠٠٠٠٠٠

أما ذروة قصائده المريرة فيمكن أن تبحث عنها ـ حســب رأي في اشعاره وهو البحار الثمل الذي يسير بحثا عن انسان يشاركه احزانــه ، عن المرأة ٠ ونجد ذلك في قصيدته الرائعة التي يمكن ترجمة عنوانهـ بحرية وحفاظ على المضمون كما يلي ؟

« غريــب يشاكس امــرأة متبرجــة »

مساء الخير أيتها الجميلة المجهولــة
انهــا التاسعة والنصف ليــلا
هــل تتفضلين ، لطفــا منــك ،
بمرافقتي لننــام معــا ؟
مــن أنــا ؟؟
تقصديــن مــاذا أسمــي ؟؟
ياطفلتــي الحبيبــة
ســوف أكــذب عليك

لانني سوف أهديك ثلاثـة جنيهـات ٠
اننــي لا أقبـل أبــدا علــى الفــم
وانني منــا كلينــا الادهــى
غير أنه بامكانك ، مقابل ثلاثة جنيهات أخرى
ان تخدعينــي
صدقيني يا طفلتي الحبيبة
من كان في زنجبــار وتيروليا
ومن كان في سجون كالكوتا مــرة
يشعر عندئذ ، بأنــه لايعــرف
ما أشــد غرابة الناس ٠
شرفــك مثــلا
أنــه ليس كما عند بطرس الاكبــر
وبالمناسبة لقــد كنــت
ـ اهدنــي هذا الشريط الاصفر ـ
كنــت في (التنا) علــى الالبــه
أزيــن واجهــات المتاجــر
هــل سمعت الصفير
انــه لشركة (ولســون) البحريــة
نعــم ؟؟
اننــي سكــران قليلا ؟؟

اوه ، لا ـ لا ـ
انني ثمل الي أبعد الحدود
وانني مجنون خطير كالكلاب
ولكن ستة جنيهات تستحق المخاطرة ،
كيف تسيرين بحذر الى جانبي
انظري فسوف أهديك أشياء غريبة ومسلية
أنا أعرف ، سوف تضحكين
أنا أعرف ، أنها ستجعلك أيضا حزينة
بالرغم من أنك لاتفهمين منها شيئا
وأنا كذلك ـ
سوف تعطيني ثقتك فيما بعد
وانت بالثياب الداخلية
الفتيات أمثالك يثقن بي دوما
انني مبني بشيء من الاعوجاج في هذه الحياة
حيث كل شيء غامض وغريب علي
هناك تسكن أمي ـ هراء
أرجوك أن ترفعي صوتك •
انني خزانة (كومودة) قديمة
غالبا ما أنصب عليها الحبر والنبيذ
أحيانا تغلق برفسة من القدم

كـم سيتمتع مبتسما ذاك الـذي
سيكتشف بعد موتي ـ المخبىء السري فيها ؟؟
آه أيتها الطفلة ، لو أنـك تعرفـين
كـم هي لذيذة شطيرة البيض (كونتز بورغر)
ان هذه ليست بمزحة حقا
وانني غـير سعيد حقـا
وانـه لا قلب حقيقي لي
انني مهـرج صغـير وبـذيء
ان قلبي الحقيقي في مكان آخـر
في مكـان مـا ،
مـن الصـدف المتكلـس ...

هذه هي أبرز صورة للمعاناة التي عاشها هذا الشاعر طوال حياتـه يضحك بل ويسخر ألما ، يعيش لذاته كما تأتي وقلبه الحقيقي بعيـد بين الاصداف المتكلسة فهو لا يفهم الحياة ربما لا يريد أن يفهم عبثية الوجود وصور التناقض التي تفرضها على الانسان فيقول :

ماذا يهمكم ان كان أحد يحبكم
تقطعـون أنفسكم دوما
تسبقـون ذاتكـم هـربا
هل أنتم مندفعون ـ ككل مندفع (ل) ـ
يبقـى نقيـا ؟

الفكرة الفلسفية هنا معقدة جدا وقد تعمدت وضع حـرف اللام في العبارة الاخيرة (يبقى نقيا) ليكون الجسر الذي نستطيع منه العبور الى أعماق هذه الغابة المتشعبة الدروب التي تبرز فجأة أمامنا وبشكل مكثف ، معبرة عن متاهات النفس الانسانية :

اللامبالاة ـ التدمير ـ القوى الخفية الدافعـة للانسان ـ الهـروب الفردي والجماعي ـ النقاء فيما بعد ٠٠٠ أليست هذه احدى صور ملحمة جلجاميش السومرية وكان سيد أوروك يبحث فيها عن (اتنو بتشيم) الخالد ـ القصي ـ الذي يسكن عند مصـب الانهـار ٠٠٠ ليعرفـه سـر الخلود والنقـــاء ٠

قصيدة : (في الحديقـة العامـة)

غزال صغير ، كان واقفا تحت شجرة صغيرة ،
يحـلم بهـــدوء
كانت دقيقتان بعد الحادية عشرة ليلا ٠
وعندما رجعت في الرابعة صباحا الى هناك
كان ما يزال يحـلم ٠
بهدوء اقتربت منـــه ، بلا نفس ،
وبعكـس الريـح ،
ودفعتــه برفـق :
فكـان مـن الجـص

هذه القصيدة تذكر (بالسمفونية ذات قرعة الطبل) للموسيقار (هايدن) التي تنتزعك فجأة من أحلامك الى عالم الواقع ، بل تذكر باحدى قصائد الشاعر الالماني الكبير (هاينرش هاينه) وهو يسخر من الرومانطيقية ويقول لفتاة مأخوذة بمنظر الغروب :

(يا آنستي ...
استفيقي ...
انه حدث قديم
هنا في الامام تهبط الى الاسفل
وهناك في الخلف ترتفع الى الاعلى)

والآن بعضا من انطباعاته ووصفه لبعض المدن الالمانية مقاطع من قصيدة : (هامبورغ)

(هامبورغ)

آلام الميناء - مجوهرات الالستر -
- المقصود هنا الاضواء المتلألئة على ضفاف
بحيرة الالستر في وسط هامبورغ -
هذه الاشياء ، هي عندي

مفاهيـــم جـاهـــزة ٠
هنـا أشـرب الجعـة صبـاحـا
والمعـــدة ما زالــت خـاويـــة
أكوم اللحم المقدد ، على الخبز الاسود الخشن
وأشـعر بنفسـي قويـا على كل المعضلات
عـلي أن أخجل من نفسـي
ان أنا شـكوت في هـذا المكـان

من قصيدة بلدة : (مانهيم)

أبعـد هذا الشـرطي عني
انـه يقـــوم بمهمـــة ضـدي
مـع انني لا أبغـي الا أن أصــرخ
أصــرخ بأعـــلى صـوتـي
وهـــو يصـــرخ :
لا ، لا ، هـــذا ممنـــوع
مـاذا يضـيـر صــراخـي
وأنـا اليـوم نشـوان ؟؟
هـــذا مـالا تتســـعه
عقـــول الشـــرطة ٠
ترقبـوا أيهـا الناس ماذا سأفعـل
لـن أقـــوم بـأي ســوء
لـو جـريـت الآن

لجـري ، حامــل السـيف هــذا ،
كالمتوحـش خـلفـي
ولكننــي أســرع منــه
وســوف أصـرخ عندهــا
بكــل طاقتــي
ماذا تفهم الشرطة من حالة النشوة هذه ؟٠
فــي القطــب الجنوبــي
يحـق لكـل ليـث بحـر أن يصـرخ
بــأي ارتفــاع يشــاء
حسـنــا ٠٠٠ اننــي صامــت ٠

كما نرى كل ما يريده هذا الانسان النشوان هو أن يصرخ من الفرح بأعلى صوته ، غير أن للمجتمع قوانينا تحد من حريتك مهما كانت رغبتك مسالمة غير أنها مخالفة للعرف ٠

مقاطع من قصيدة أخرى عن برلين تصور ضياع الانسان في عالـم المدينــة الكبـيرة :

وقد كتبت في تشرين أول عام ١٩٢٣ :

(برلـــين)

صبــا حالخـير يا حبيبتــي ٠
في الامـس أراد شـقيقي أن يسـطو عـلي

أراد أن يقتلنـي وصـاح :
(الـيّ بالنقـود) وأطـلق النـار
وقـد أعطيتـه خمسـة عـلى جمجمتـه
وقـام بذلك مفتـاح البيـت
اليـوم تـوفـي فـي المشـفى
ماذا تراه قد فكر ـ في الاخير ـ وهو على فراش الموت ؟؟
ماذا عـلي أنا أن أفـكر ؟؟
أيـة قـوى تحـرك المقذوفـات
الحاجـة ـ والخطـأ ـ الدفـاع عن النفس والاسف ؟؟
ان كنت أضحك ، طبعا انني سعيد
لان هذا الشـقي قـد صوب خطـأ
أنـا الفقـير أن يظننـي مـن الاغنيـاء .

ومن برلين أيضا حيث المقاعد على أكتاف القنوات التي تخترق المدينة مقاطع من قصيدة :

(عـلى الاقنيـة ـ في برلـين)

عـلى مقاعـد الاقنيـة
يجـلس أنـاس
ليخلصـوا مـن عذابهـم
أضـواء تعبـر مسـرعـة

آلاف الوجـوه ، تلمـع عابـرة :
بـرلـين
عـلى سـطح الميـاه
ضبـاب مـن البنـزيـن

تحتـه يكـون الامـر أفضـل
خـلف الجسـر
تطـير بعوضـة في ثقـب الانـف
ثقـب أنفـي
أعطـس اذن
في هـذا الشـارع الهـادىء
في الباص ، في طابقـه العلـوي

تـرتـج عظـامـي
تستيقظ كلمات حسنة (يقصد شتائم)
تبقـى مكتومـة ٠
آه ٠٠٠
لقد تذكرت تلك المرأة ، موزعة الجرائد
(فانبلكس) أو (بلاكس)

اسـمهـا
لها رجفـة غريبـة في رجلهـا

حتى لتعضها الكلاب
على القنوات
على المقاعد المظلمات
يجلس الناس
الذين سينتحرون غرقا في الصباح
(يوم مكفهر)
عويل النساء في البيت :
الطفل الميت يبدو كالثلج
ذهبت مع أخي فقط الى البحر
اصطدنا الكثير من الدموع
والشبكة كانت فارغة

من قصيدة عن ذبابة عجوز في مدينة (لايبزغ) حرمته لذة النوم حتى أنه أراد :

(ولو برفق شديد ، أن أقتلها بعض الشيء)
حتى يقول في النهاية بسخرية :

أخذت مني كل اللذة
انني لست مستيقظا ولا نائما
كما لو أن الرعد سيأتي
هل يصعق البرق يا ترى الذبابة أيضا ؟؟

قصيدة : (بعض من طفولتي)

الاب السعيد ، حضن الام
غرفة الاطفال ، البيت المألوف
قـدم خنزير محمـرة
عمتـي روزشـن
حـلوى طعمهـا كفـراء الذبـاب
عندما أتقيـأ في الغرفـة
يضحـك أخـي كالخنزيـر ،
عندما يضحـك ، تصفعـه أختـي
عندما تصفـع ، تبكـي أمـي
عندما تبكـي يصـرخ الاب لاعنـا
عندما يلعـن تشرب عمتي النبيـذ
عندما تشـرب النبيـذ ،
تهدينـي قطعـة مـن الحلـوى
عندما أتنـاول الحلـوى عـلي أن أتقيـأ .

من قصيدة : (انه يستحق ذلك فعلا)

انــه يســتحق ذلك فعـلا
أن نكـون لطفـاء بعـض الشـيء
وأن نضـع الامـور في المسـتـوى البسيـط
وليــس مــن الكـرم أن تعـذر
بأن يكـون للاخرين رأي مخالـف
فعـلا ان الحمـاس طبيعـــة
في خــير الامـور وشـــرها
ولكــنّ عقـدة في شـريط الحـذاء
لا يمكن حلهـا بـدون لطـف وهـدوء •

وما دمنا نتحدث عن عقدة شريط الحذاء فتعالوا نستمع الى ما قاله (ر •ن) في حذائه بقصيدته :

نعـــل حـــذائـــي
لقـد كان قريبـا منـي دومـا
نعــل حـذائـي
مع أننـي لـم أنظـر اليـه الا نـادرا •
لقـد حفـظ سـطح قدمـي
عليـه التصـق عـدم الهـدوء
والاقــذار والدم وربمـا بعض من الذهـب

لقـد اضمحل مـن أجـلي
ولـم يـر النـور الا نـادرا
مـن لا يحـب نعـل حـذائـه
لا يستطيـع أن يحـب الارواح .
ان قلبـي ثقيـل منـذ أيـام
عـلي أن أحمـل حـذائـي الـى الحـذّاء
والا فلـن يستطـع حمـلي بعـد الآن .

قصيدة : (هــل تعــلم ؟)

ماذا لو أنجب من له تسعة عيون
وألــف قــدم أطفـالا
كيف تــرى سيمشون ؟؟
كيـف تـرى سيسيرون ؟؟
أنا لا أعــلم أتعـلم ؟
هل تعـرف أن ظل طـائـرة
مــارا فـوق البيـوت ـ الاشجار ـ الوسائد ـ
النــاس ـ الحيوانات ـ المــاء
لا يقاومــه شـيء أو أحــد ؟؟
كلنــا يعـرف لمـاذا فـي الاغصان الجميلة
عناكب جميـلة ، تصنـع شباكا جميـلة

ولكــن هــل تعــلم ؟؟
ماذا يعنــي صمــت انســان آخــر
الآن فيمــا مضــى وفيمــا بعــد ؟؟

قصيدة : (بحــار سابــق)

آه كم أود أن أعــود مــرة أخــرى
بحــارا لأجــوب الاطلســي
وأعطــس مــن أنفــي
في الطقــس العاصــف
قلبــي وأغنيــاتــي

قصيدة : (حــالة كآبــة)

السكــرة تذهـــب
المـــاء يجـــري
الوقـــت ينتهـــي
وقـــت جديـــد يبتـــدىء
لماذا ، ما الغايـــة ؟؟
أتصــورك ِ ، بــدون لحــم ، فأجــدك
هيكــلا عظميــا ناحــلا وحزينــا

يا أجمل الفتيات أنت !
مَن بعثَ هذه التساؤلات ؟
أهو ضيفنا ؟؟
مَن لم يسأل يَمُت
هل هناك احالة بريدية (نقود من عمته غالبا)
تلغراف ، رسالة جيدة ،
تنفس عندها بعمق
كالاكورديون ٠

قصيدة : (متعب في برلين)

عندما تتهارب الافكار مذعورة منك ،
حتى ان ساقا جميلة لا تفرحك
ورطوبة° عكرة تنتشر فوقك
تحت النجوم ٠
فأين أنت ذاهب في مثل هذا الوقت ؟؟
جميل مثلا الذهاب الى حانة بلتسر
ولكن المتعبونَ جاحدون
اذهب لبيتك واستلق للراحة ٠
فانك لن تجد الكلمات
اذا حادثك أحد ما بلطف

لانـك أنـت ، أنـت
ولا تستطيع الهروب مـن ذاتـك
ضـع نفسـك بـين يديـك
عندها تزبِـدُ برلـين المتـلألئة
عـلى جدرانـك الرزينـة
سفينتـك سـوف ترحـل في البعيـد ٠

قصيدة : (المغـامـر)

(أيها المغامر الى أين أنت ذاهب ؟؟)
مجتـازا المخاطـر
حيث كنـت منـذ آلاف السنـين
فـي الحـلم ٠
سـأترك نفسـي تنساق
في عوالـم لا يراهـا الا غريـب
اريـد أن أصـارع لأنال ، أن أمسك ، أن أحيـا ،
ما يحصل في غـير مكـان
الحظ لا وصول اليـه أبـدا
يجذبنـي مكـان بعيـد
يجذبنـي عتمـة خشنـة
ربماً الى حيث اللا وضوح الضبابي

ما كنت قد ملكت
ما كنت قد عرفت
اريد أن أضيعه ـ أنساه .
سأسافر خلال صدري .

قصيدة : (زاوية حائط قديم)

أيها الجدار القديم
الذي كثيرا ما أبول عليه
لانه في مكان عاتم .
بريق سماوي
ينبعث من شحوبك .
الرطوبة والطحالب
وتقلب الازمان
أعطت لجلدك تلك الوجوه المتجعدة ،
التي لا يراها الا شاعر
أو فنان
أو أحد ما فقط
« هل نستطيع حماية أنفسنا ؟ »
ينبعث منك برفق السؤال
آه . لا كتاب ولا لوحة

يستطيــع هكــذا أن يُعلمنِــي

مـا شـاهدتـه عليـك

سـيبقـى بعضـا منـه الى الابـد

أيها الجدار الذي لم يألفني أبدا ،

اننــي أحبـك ٠

لأنك لا تعطـي المواعـظ

لأنك لا تنهـي الامـور

ولأنك لا ترغب أن تكون أيّ شـيء

ولأن البقـعَ عليـك

تُوقـظ عنـديَ الظنـون

أنـت شـعـاع للظـل ٠

لا يعرفـون عن ذلك شـيئاً

أولئـك الذيـن هنـا يبولـون

ولكنـك تومـيء الـيّ تعـال

ومنـذ أن عرفتـَك ، تثير عندي لثوان

قضاءُ الحاجة ، مشاعرَ معيّنـة ٠

قصيدة : (أحبــك كثــيرا)

أحبــك كثــيرا
كم بودي لو أهديتك ، دون تردد ،
طوبــةً من موقــدي
اننــي لم أقــدمْ لك شيئــا
والآن أنــا حزيــن ٠
عــلى السفوح المائــلة لخطوط القاطرات
تلمــع الورود البريــة بشكــل جميــل ٠
عبــير طوتــه السنــون
ولــن يُنســَى أبــدا ٠
اننــــي راحــــل
كــل ما هــو طويــل البقــاء
يَتّســمُ بالهـــدوء ٠
الزمـــن يشــوه كــل الكائنـــات ٠
كلـــب يعـــوي
لا يستطيـــع القـــراءةَ
لا يستطيـــع الكتابـــةَ
لا نستطيـــع البقـــاء ٠
اننـــي أضحـــك ٠

ان أهـم ما في المصفاة هي الثقوب ٠
انني أحبـك كثـيرا ٠

هذه القصيدة الحزينة تعالج مسألة جدية هي مسألة الموت والفنـاء ولكن الشاعر يقدمها لنا بقالبه الساخر حيث يقول : « ان الثقوب هي أهم ما في المصفاة » أي العدم ، اللا شيء ، الفناء ٠٠٠

وما أروع تعبيره « ان الزمان يشوه كافة المخلوقات » ٠

والآن قصيدته الرائعـة :

(حصـان البحـر)

عندما كنت لم أزل حصان بحر
في الحيـاة السـابقـة
كـم كـان ذلك رائعـا
أن أتأرجـح تحـت المـاء
في الامـواج الحالمـات
يتمـوج كالسنابـل شعـرك
يا أحسـن أفـراس البحـر
التـي هـي حبيبتـي
نغـوص ونطفـو بهـدوء
نرقـص بايقـاع متناسـق حـول بعضنـا البعض

دون أيـد ، دون أرجـل ، دون أكـف ،
كما تتداخل الغيوم بعضُها ببعض
تتهارب بغنج ودلال لأمسكها
حتى ألحقَ بهـا وأمسـكها
وضعـتْ لـي مـرة ابـان احتضانهـا
بيضـةً في جيبـي
نظرت بحزن وتظاهرت بالفرح
وانقضّت علـي برغوث مـاء
وتمسكت ، ملتويـة عـلى ساق عود وقالت هكذا :
اننـي أحبـك
انك لا تصهل ، لا تلقي تفاحا (براز الخيول)
انك ترتدي ثوبا محرشفا بلا ألوان
ولك وجـهٌ حزيـن مجعّـد
كمـا لـو أنـك تشعـر
باقتراب مأسـاة مـا .

ُفرَيسةُ البحر يا صغيرتي

(رنغل ناتس)

متى كان ذلك ؟

ومن سيحزن فيما بعد على بقايا عظامي ؟

انه لأمر يقربني من البكاء.

(لولو) حطمت ذلك الحصان

المتيبس ، المنكمش ألماً ...

اسم الشعر وطبيعته

١٥. ي. هاوسمان ○ ترجمة: يوسف أحمد المحمود

لا أدري ، فيما اذا كانت ملكة النقد الادبي أفضل موهبة تحتفظ بها السماء في خزائنها ، لولا أنه يظهر أن السماء تظن ذلك ، لانها بكل توكيد لا تمنح هذه الموهبة الا مقتصدة • واذا كان ظهور الخطباء والشعراء ، الحكماء والقديسين والابطال ، تندر مقارنتهم بثمر العليق، وأن ظهورهم أقل تعميما من ظهور مُذَنَّب هاللي ، فان ظهور نقاد الادب أقل تعميما •

واذا كان الناقدُ الادبي، لا يظهر الا مرة واحدة في القرن ، أو مرة كل قرنين ، فهل يستطيع أحد علماء الرياضيات في هذا البلد ، أن يقول لي ماهي الفرص التي يتيحها ظهوره بالنسبة لذلك العدد الضئيل من الناس الذين يسمون بالادباء الكلاسيكيين ؟ اذا كان مثل هذا الاقتران

---

* — أليفرد ادوارد هاوسمان ، (١٨٥٩ — ١٩٣٦) ، صاحب المحاضرة ، أحد أدباء الكلاسية الحديثة الكبار . أستاذ اللاتينية في جامعة كمبردج . له ديوانان من الشعر الغنائي ، اشتهرا بالاقتصاد في الالفاظ وبساطتها .

الاتفاقي ، قد حدث متأخرا في القرن الثامن عشر في شخص ليسنج (١) ، فانه لينبغي أن تمر فترة طويلة ، قبل أن يحدث مرة ثانية . واذا كان لا يزال مبكرا أن يشهد القرن العشرون ناقدا أديبا في شخص آخر ، فكل ما أعرفه أن ذلك الناقد لن يكون أنا .

لقد تحسَّنت في هذه الاثنتين والعشرين سنة من وجوه ، وفسدت في وجوه أخرى ، الا انني لم أتحسن الى درجة أن أصبح ناقدا أدبيا ، كما أنني لم أفسد الى حد أتخيل فيه أن سأكون ناقدا أدبيـا .

لذلك فانكم لستم على وشك أن تخاطبوا بلهجة الثقـة التي توافق نقاد الادب ، كما أنكم لن تكونوا مخدوعين ببعض أولئك الذين تسول لهم أنفسهم أن يكونوا نقاد أدب .

ان الادب الجيد ، في عدة لغات ، كان تسليتي المفضلة طوال حياتي . وعلى الادب الجيد الذي تستمر قراءته للمتعة أن يكون ، ودعونا نأمل ذلك ، مفيدا للقارىء . عليه أن ينشط احساسه ان كان بليدا ، أن يشحذ حصافته ان كانت كليلة، وأن يهذب آراءه الشخصية ان كانـت فجة . مع أنه لا ينبغي للآراء الشخصية أن تبقى الحقائق التي تنقل المعرفة بحد ذاتها لتوكد البصيرة النافذة والمعرفة الفائقة .

ان براعة نظم الشعر ،هو الموضوع الذي أول ما فكرت أن أتحدث فيه هذا اليوم ، لأن هذه البراعة تقوم على حقائق يجهلهـا معظم الذين يمارسون نظم الشعر ، وان نجاحهم فيها ، اذا ما نجحوا ، فانما هو

مدين لذوقهم الفطري ولجودة جرسهم الطبيعي٠

هذه الحقائق المستترة ، تشكل القوانين الطبيعية التي يكيف بها نظم الشعر كله، والمصادر السرية للمتعة الحسية التي يمكن أن يعطيها الشعر الجيد ، قليلا ما يكشف عنها النقاد ٠

ان المرء اذا ما أخذ بمناقشة طبيعة الشعر ، فان العقبة الاولى التي تعترض طريقه انما هي في الغموض المتأصل في اسم الشعر ، وفي كثرة معانيه التقليدية ٠ انها ليست لغة انجليزية رديئة أن نتكلم عن « النثر والشعر » بمعنى « الكلام المنثور والكلام المنظوم » ٠ ولكن هذا اسراف ، انه تبديد لكلمة ذات قيمة أن نمطها لكي توافق المعنى الذي عبر عنه تعبيرا دقيقا باصطلاح واسع ٠ ان النظم يمكن أن يكون « محطم القافية »، كما هي الحال في حكاية السير توباس في قربان يوم الدينونة المقدس ، التي جرت في نزل تابارد(٢) ، وعندئذ يكون اسم الشعر مقصورا بصورة عامة على النظم الذي يمكن أن يسمى أدبا في أقل تقدير ، مع أنه لا يختلف عن النثر الا بشكله الموزون وحسب ، ولا يتفوق على النثر الا بمناسبته الفائقة لذلك الشكل نفسه فقط ، ثم بصقله الرفيع الذي لا يفارقه عادة ٠ وفضلا عن ذلك ، فهناك شعر يعطي متعة حسية محضة ومفعمة بالحياة ، تنبع من قريحة الكاتب ومن كياسته ٠

لحبلين(٢) اليوم فطنة ممتعة
انـّه يحب النكتة المناسبة ،
وهكذا ، بمظهر المرح ،
تكلـّم الى الكالندر :
لقد جئت لأنّ حصانك سيأتي ،
فاذا حدث لي ما يعيق ،
فان قبـّعتي وشعري المستعار سيكونان هناك في الحال :
انـّهما في الطريق اليك ٠

شيء فاخر : الا أنّ أحدا ، اذا ما سئل أن يورد نموذجا من الشعر ، فانه لن ينشد مثل هذه الابيات ٠ وليس المقصود من النموذج المطلوب أن يكون أقل سهولة وبساطة ومباشرة ، بل يمكن أن يكون أقل بروزا :

تعال يا عولس ، أيها اليوناني الشريف ، تعال ،
سيطر معي على هذه الشواطىء :
فالريح والبحار عسيرة ،
اذ يمكن لنا أن نكون هنا أحراراً ٠
هنا نستطيع أن نجلس مستعرضين عناءهما
الذي يرحل في الاعماق ،
فنقضي النهار كله مبتهجين ،
والليل نمضيه نائمين ٠

هناك نتوقف أن نخب بفرس الكالندر ونبدأ بالطيران مع بيجاسوس(٤) فالحقيقة أن الناشىء المتشاعر الواعد لا يستطيـع أن يفعـل أفضـل من رصف هذه المقطوعة في ذاكرته ، وليس من الضروري أن يضعهـا أمامـه كنموذج يحتذيه ، بل أن يحتفظ بها كمحك للاختبار الى جانبه٠

ان الاسلوب والحركة متماثلان ، انهما كاملان ٠ انهما مؤلفان ، على الاغلب ، من الكلمات العادية ، وهما أيضا خاليان من شوائب النثر ، ومهما كانت السماء عالية فانّ فن الشعر يستطيع أن يصعد اليها ، ولن تفيض هي به على واثق أو جناح خفيف ٠

قلـت هما كامـلان ٠ ولاشيء فوق الكمال يطلب من أي شيء : ولكن الشعر مؤهل لأكثر من هذا ٠ ولذلك فالمتوقعُ منه هو أكثر من هذا ٠ هناك مفهوم للشعر الذي لايؤدى بلغة نقية ونظم سلس ، ومع البساطة فان المتعة التي يعطيها ماصحة اللون اذا جاز هذا التعبير الا أنه ضمنيا يقتضي أن يكون فيه حضور مثير ومؤثر بطريقة خاصة ومميزة ٠ ضعوا بجانب مقطوعة دانييل(٥) هذه الاسطر لبروس(٦) أو أغنية لوغان(٧) :

أيها العصفور الجميل ، ان عريشتك خضراء أبدا ،
وسماءك صافيـة أبدا ،
فأنت لا تعرف الأسي في تغريدك ،
وفي سنتك لا يمر شتـاء ٠

انّ عنصرا جديدا يتسرب فيها ، هو مسحة من عاطفة · وأعتقد أن وظيفة الشعر الخاصة ، هي أن تنقل العاطفة ، وليست هي نقـل الفكرة الا بمقدار ما تجعل في احساس القارىء اهتزازا يتوافق مع ما أحس به الكاتب · حتى حيثيكون الشعر شديد الجمال ولا جذابا في شكله الظاهري ، كما هي الحال في أسطر جونسون التالية(٨) :

انّ فضائلهُ تسعى في نطاقهـا الضيق ،

لا تتوقف ، ولا هي تترك فراغـا ،

ومن المؤكد أن السيد الابدي لم يجد له موهبة

يحسن التصرف بها الا هذه الموهبة ،

ويمكن أن يمتلك بعد الفضيلة نفسها ويستخرج عبارة مماثلة ·

علاوة على هذا ، فانني لن أتسلق الآن سلم الشعر · بل انني اخترت هذين المثالين اذ يمكن أن يعتبرا متواضعين ، ويمكن أن يحتويا ، ولو بصعوبة ، أكثر من الوعد الذي على الشعر أن يحققه · فهنا ، في هذين المثالين ، لا تحليق أو فخامة أو انفعـال · ان ما ينقلانـه ليس مملوءا بالفرح ولا هو مغرق بالرعب، انه لا يطرق القلب ولا يهز النفس ولا هو يحمل النفث بعيدا · الا أنهما شعر ، رغم أنه ليس شعرا ساميا ، بالمعنى السامي المعروف ·

ان دونكان يرقد في قبره(٩)
مرتاحا بعد حياة من الحمى المتشنجة ·
وحتى بالنسبة لذلك الشعر فانه لا يوجد اسم آخر ·

لقد قلت بأن المعاني الصحيحة لكلمة الشعر هي نفسها التي عقدت الى درجة كبيرة مناقشة طبيعته·ان أوجه الاسباب هي أن نبعد الرديء المشوش الذي حرف الاصطلاح غير الملتزم بالقواعد الصارمة ، وأن نضيف اما الاشياء المتباينة التي كانت سابقا بأسمائها الخاصة ، واما أن نخترع للاشياء الجديدة أسماء جديدة ملائمة ·

لقد مر عصر كامل ، ومكانة الشعر في اللغة الانجليزية محتلة بشيء مختلف جدا ، استولى على الاسم الرئيسي والدقيق للعقل : العقل ليس بمعناه الحديث ، بل بحسب تعريف جونسون(١٠) ، « تركيب صور متباينة ، أو كشف متشابهات خفية في أشياء غير متشابهة ظاهريا » · مثل هذه المكتشفات ليست شعرية بأكثر من الجناس اللفظي ، ومثل المتعة التي يعطيها هذا الشعر هي متعة عقلية خالصة، وعقلية مستهترة ، الا أن هذه كانت متعة الفكر بالدرجة الاولى وكانت في قصائد أهل الفكر لمدة خمسين سنة وأكثر في القرن السابع عشر ·

وكان بعض الكتاب ، الذين قدموا هذا لمعاصريهم ، شعراء معتبرين بطريق الصدفة · ومع أن شعرهم كان بصورة عامة متنافرا ، وكأنه ظاهريا قد قطع الى أطوال ثم جمع ، بوساطة رياضيين مختصين صم،

في حزم كالقضبان، فان بعض ذلك الشعر كان جميلا وفائقا • ولكنهم لم يكونوا مفتونين هم أنفسهم بهذا الشعر، ولا حاولوا أن يفتنوا به غيرهم • كانت الاستعارة والتشبيه ، وهي أشياء غير جوهرية في الشعر ، تستحوذ عليهم استحواذاً كبيرا ، وبقدر ما تكون نسبتها كبيرة في أشعارهم ، يمتدح ذلك الشعر • ولم يكن قصدهم من هذه الاشياء الثانوية أن تساعدهم في الشعر ، أن تجعل معانيهم واضحة ، أو أن تجعل تصوراتهم أشد حيوية ، بل انهم تهالكوا عليها لوجه الزخرفة ، وظنوا أن للصورة قوة مستقلة في الارضاء : على مواضيعم أن تفزع بجدتها وأن تسلي بعبقريتها الجمهور ، الذي كانت رغبته الوحيدة أن يراع وأن يسلى • ان المتعة ، مهما كانت مترفة ، هي في أن يسمع مثل هذا الوصف لعيني القديسة ماري ماجدالين :

هما حمامان ماشيان ، هما حركتان تبكيان
هما محيطات مصغّرة ولكنها متنقلة ،

ان هذه ليست متعة شعرية ، وأن يكون الشعر كرقعة العنوان التي تلصق على البضاعة ، فانه غير مناسب•

علينا أن نتناول الموافقة بحذر شديد عندما نريد أن نعطي للشيء الذي نعجب به كثيرا اسما شريفا لكي نستطيع أن نبسط فيه لساننا كشيء جديد • يجب أن نحترس أن نعامل كلمة شعر كما يعامل الكيميائيون كلمة ملح • ان الملح مادة بلورية تتميز بطعمها ، واسمها

قديم بقدم اللغة الانجليزية ، وهي ما يقتنيـه الشعب الانجليزي ، الذي يعرف ماذا تعني ، ولم تكن هذه المادة من ممتلكات العالم الخاصة الا لمـدة تقـل عن الثلاث مئة سنة ، اذ احتاجت الى اصطلاح يجسـد مفهوما جديدا ، هو « حمض له كل هيدروجينه العائد اليه من الفلز أو جزء منه » ، وبذلك هيأت نفسها بنفسها ببطء لكلمة ملح القديمة التي كانت غير ملائمة ، بدلا من استنباط اسم جديد ملائم ٠

ان المثال الصحيح للمشابهة هو أن ذلك الكيميائي ، عندما قوبل ، أو خيل اليه أنه قوبل ، بشكل لمادة لا اسم لها ، لم يسـرق لها اسم شيء آخر ، وانما اخترع من رأسه الاسم الذي ظن أنه يلائمها ، وبذلك أثرى مفردات الانسان الحديث بكلمة غاز المفيدة ٠

واذا ماطبقنا كلمة شعر تطبيقا عمليا ، سواء في الشكل أم في المضمون ، على الموضوع الذي لم يشابه حتى الآن أي شيء مما سمي به ، فاننا لانسيء الى اللغة ونحرفها وحسب ، بل لعلنا نتهم بالازدراء والتجديف ٠ ان كلمة الشعر يمكن أن تعني أيضا الموضوع الذي نحـن بصدده : الموضوع ، وهو بلاشك شيء مختلف ، يمكن أن يكون شيئا رفيع المنزلة ٠ لما أمطر الرب الخبز من السماء لكي يأكل الانسان طعام الملائكة ، وشاهد أطفال فلسطين شيئا صغيرا مستديرا علـى أرض البرية ، وهو بقدر مايكون قرن الجليد ، لم يسموه السلوى ، بل ارتفعوا الى مستوى الحدث وقال بعضهم لبعض « هو المن » ٠

ومثل هذا الشيء أيضا كان الشعر المزيف ، شعر مزيف مصنوع عن تدبر وقدم بديلا • وأكبر مثال تاريخي عليه في اللغة الانجليزية ، شعر معين أنتج بغزارة واستقبل بالتهليل من الطبقات العليا والدنيا ، بما سمي تساهلا لاغراض أدبية بالقرن الثامن عشر • وهذا القرن لم يكن مجرد مئة سنة بدأت اتفاقا وانتهت مقسمة الى فترات محددة وانما هو فترة طويلة متواصلة وحقيقية ، الفترة الممتدة ما بين سامسون اغونستس(١١) سنة ١٦٧١ ، وبين القصائد الغنائية(١٢) سنة ١٧٩٨ شاملة كجزء متحد وبتأثيرها الفعال أعمال درايدن الناضجة(١٣) •

وكان ماتيو أرنولد(١٤) منذ أكثر من خمسين سنة قد أصدر ، بصدد تقييم وردسورث وكوليردج(١٥) الرديء لشعر القرن الثامن عشر ، هذا التحذير « ان دلائل كثيرة تشير الى أن القرن الثامن عشر وأحكامه تعود الى الاستحسان مرة ثانية » • وكلما ذكرت ذلك لنفسي أتأكد أن ذلك لن يكون أبدا ، وانما عليك أن ترى كيف يكون النقد الادبي •

وقبل سنوات طيبة من هذا الحين نشأ ميل قوي لتعديل ذلك الحكم الذي أصدره القرن التاسع عشر على شعر القرن الثامن عشر وليظهر أن ذلك الحكم الذي حط من قدره لم يكن أكثر من تعبير عن كره لنوع من الشعر مخالف لشعره الخاص •

تلك فكرة خاطئة • ذلك أنها تضع قيمة منحطة لشعر القرن الثامن عشر ، ليس لانه يختلف في النوع عن شعر القرن التاسع عشر ، بل

لانه حتى في الجيد منه ، يختلف بطبيعته ، كما أن شعر القرن التاسع عشر الخاص لم يختلف بالجيد منه ، عن شعر تلك العصور كلها ، سواء الحديث أو القديم منه ، وسواء كان انجليزيا أم أجنبيا ، ونقصد بالعصور ، تلك التي اعترف لها أنها من عصـور الشعر العظيمة • أن نأخذ شعر القرن الثامن عشر بذلك المعيار ، حتى عندما لايكون رديئا ، وحتى عندما يكون جيدا ولاعيب فيه ، فان ذلك حكم مقتضب قاس •

ان أدب القرن الثامن عشر في انجلترا رائع وأكثر شيء متعة • لقـد اجتمعت له قوة كبيرة في الجودة أكثر من أي فترة سبقت أو تلت ، ومع أن مهمة ذلك العصر الخاصة ومأثرته المميزة ، كانت أن يخلق نثرا قويا ، سليمـا ، وبارعا ، ويؤسس ذلك النثر ، ليخلف نثر ميلتون(١٦) أو جيرمي تايلور(١٧) الثقيل والمزخرف والـدال علـى العجـب بالنفس ، ليصبـح الوسيلة المعتمدة في التفكير الدقيق والسعي الجدي وراء الحقيقة ، مع ذلك فقد وجدت روائع في الشعر أيضا ، وربما لـم توجد قصيـدة انجليزية في الشعر الغنائي الطويل أكمل وأتم من خصلة الشـعر(١٨) ، لاحكاية القس لنوني ولا الملاّح العجـوز(١٩) •

الا أن الملكة البشرية التي سادت القرن الثامن عشر وشكلت أدبه كانت العقل ، وذلك ماقتضى ، حسب تعبير أرنولد ، « شيئا من الكبت للشعر واخراس صوته » ، « شيئا من التجمد في حياة الروح المتخيلة »• لقد توقف الانسان أن يعيش بأعماق طبيعته ، قصر نفسه على

اختيار الافكار التي لاتمتد الى ماوراء جو الادراك ، أشعل شموعا وأسدل الستار ليحجب القمر ، راعى الشعراء • ان كتابة الشعر استمرت ، وكثير من الشعر الذي كتب كان أدبا ممتازا ، غير أن الأدب الممتاز الذي هو شعر أيضا لم يعد ذلك الحين شعرا ممتازا ، وكان شعر انقرن الثامن عشر أكثر ارضاء عندما لم يحاول أن يكون شعريا •

ان شعر القرن الثامن عشر كان ، بالحقيقة ، اسما لشيئين مختلفين ، عليهما أن يظلا واضحي المعالم • لقد كان هناك مادة يومية جيدة وسليمة ، أبرزت ابرازا كافيا كل ماهو قيم وجدير بالتقدير رغم أن ذلك لم يكن مهمة رفيعة • ان الهجاء ، المشادات ، والسخرية ، التي انجز اليها القرن الثامن عشر بكتابة عباقرته ، والتي كانت انجازاته فيها لاتبارى ، كانت أشكال الفن التي كان فيها الشعر السامي في غير محله ، والتي اليها ، ان لم تقدم بتقتير شديد ولباقة ، يعود الضرر والتشويه بالفعل • وخاتمة دونسياد(٢٠) يمكن أن تعتبر هائقة الى حد ما ، لولا أن هذه العبارة قد استبقيت الى الخاتمة لحكمة• ان النزر اليسير من العنصر الشعري الذي يمكن أن يتلاءم معه الهجاء بسهولة هو مانجده بنوع ما في مثل هذه السطور :

الأغنياء،مثل الحشرات،اذا ماأرادت أن تخفى تلبد بالارض،
انها تنتظر أن يصير لها أجنحة ، وفي فصلها المناسب تطير •
من ير شيطان الجشع الشاحب في وسط دكانه

فانه لايرى الا القهرمان الخجولَ الموكل بأمر الفقراء :
هذه السنة للاختزان ، توفر وتدخر ،
والسنة التالية ، ينبوع ، يتفجر ويجري في ورثته ،
جداول زاخرة تطفيء ظمأ البلاد ،
والناس والكلاب سيشربون حتى ينفزروا

فأي كلام أصيل هذا الكلام ! الا أن مثل هذه الكتابة ، التي كانت مثار اعتزازهم الحقيقي وينبغي أن تكون مصدر فخرهم الرئيسي ، لم ترض الكتاب • بل انهم ، برغم كل ذلك ان هذا الشعر لم يصنف بما يعادل شعر العصور الاخرى ، ولاهو أدى مفهوم الشعر الذي كان غامض الحضور في أذهانهم ، ولذلك طمحوا الى شيء أبعد مايكون عن الابتـذال •

ان النعامة بالنسبة لتكوينها الخاص هي أسرع الاشياء المخلوقة • انها تزري بالحصان وبراكبه، ومع أننا أخبرنا أن الله حرمها من العقل، ولاهو منحها أي مقدار من الادراك ، ولكنه لم يقدر لها ، في أي حال ، أن تشعر بما يكفي لتعرف أنها لم تكن قبرة أو صقرا •

وفيما يخص شعراء القرن الثامن عشر ، فان الشعر السامي والمتقد العاطفة ، لم يأت تلقائيا ، لان المشاعر التي رعت ولادتـه لم تكن عندئذ وافرة ولا هي ضرورية في داخل الانسان ، ولذلك فقـد شدوا أوساطهم وحاولوا أن يجروا ـ الى أبعد من الحد المألوف باستحضار

الطمـوح ·

والطريقة لتكتب شعرا حقيقيا ، حسب رأيهم ، هي يجب عليك أن تكتب شيئاً مايشبه النثر بقدر الامكان · ولهذا الغرض فقد اخترعوا ماسموه « العبارة الصحيحة والاسلوب الفخم » ، التي تتألف دائمـا من استعمال الكلمةالخطأ مكان للكلمة الصحيحة، وتلصيق ذلك كزخرف، دونما تفكير بالموافقة ، على أي شيء يرغبون أن يبجلوه · وقد سيطـر هذا الاتجاه ولم يعد من السهل أن يخطأ ، مما جعل الرأي العام يربطه حالا بمفهوم الشعر ومع مرور الزمن اعتبر وحده المفهوم الشعري(٢١) ·

وكان في الواقع متسما بالابهة وبالفقر الشديد في وقت واحد · كان محدودا جدا ، بسبب الاختيار المفروض ، كان معجميا ، وبالتالي غير متكافىء مع مهماته المتعددة وتفكيره الدقيق · انه لم يستطع أن يصف المواضيع الطبيعية بالاحساس الدقيق للطبيعة ، ولم يستطـع أن يعبر عن المشاعر البشرية بتنوع ورهافة تتجاوب مـع مافي نفوس البشر من مكنونات · انوسيطاجافيا ، كثيفا ، جامدا ، يتدخل بـين الكاتب وعمله · وكان لهذا الاخفات في اللغة نتيجة أبعد من جوها الخاص : ذلك أن تأثيرها يعمل في الداخل ، والادراك الحسي ميت · ومالم يعد يوصف فانه لم يعد يرى ·

ان قسمات الاسلوب وتشكل بنيته يمكن أن يدرس تحت ضوء قاس في ترجمات درايد نمن تشوسر(٢٢) · ان حكاية فـارس بالامـون

وأرسايت لم تكن أكثر قصائد تشوسر نجاحا وتميزا : انه لم يكـن مطلعا اطلاعا كاملا ،كما في الاستهلال وفي حكاية شونتيكلير وبيرتيلوت، وحركته بطيئة تافهة • ترجمة درايدن تظهر درايدن في نضوج قوتـه وبراعة عمله ، ويمكن أن يعجب في كثير منها بصدقه وباتزانه • لقد كان مدركا لتفوق تشوسر الخاص : كان من الذكاء بحيث لم يغير مثـل هذه الاسطر « بنهوض الشمس نهضت اميلي من نومها » أو « شاهدت هناك من كان يذبح نفسه » ، أدرك أنه لايستطيع هو ولا غيره أن يأتي بأفضل من هذا •

ولكنه بذل محاولات كثيرة في حالات متشابهة أن يحسن ، لانه ظن أنه يستطيع ذلك •واعتقد ، كما يقول هو نفسه ، أنه كان « يحول بعض حكايات كانتربوري الى لغتنا ، مهذبة كما هي الان » ، ومرة أخرى يقول « ان الكلمات تترك كموقع لايمكن الدفاع عنه عند شاعرنا ، لانه يريد فنا حديثا في التحصين » ، ويقول لنا : لقد أضفت كلمات من عنـدي فيبعض الامكنة ، حيث رأيت أن كلمات كاتبي كانت ضعيفة ، لاتعطي أفكاره الرونق الحقيقي ، بسبب ضعف الكلمات في بداية لغتنا»

ولننظر الى ماسيلي • الى بيت تشوسر الحي البارز :

المبتسم والسكين تحت معطفه

فيصير هذه الابيات الثلاثة :

النفاق يقف الى جانبه ، نظرة شزراء تقية ،

ابتسامة ناعمة ويغض من بصره حياء ،
ولكن الخنجر مخبأ تحت معطفه .

مرة أخرى :
أسفا ، هكذا قال ، لذلك اليوم الذي فيه ولدت .

هذا ما قاله تشوسر ، بسبب ضعف الكلمات في بداية لغتنا . فجاء درايدن ليساعده ويعطي أفكاره رونقها الحقيقي ، فيصبح البيت هكذا :

لعن اليوم الذي فيه أول ماظهرت ،
وليسقط من مفكرة الأيام ،

فقد دنس ذلك الشهر الذي كان فيه واسم السنة التي كان فيها ذلك الشهر . أو هذه المرة بعد تلك :

ان الملكة ، وقد قاربت سن النضوج
انخرطت في البكاء ، وكذلك فعلت اميلي
وكل النسوة اللواتي كن في الصحبة .

فاذا كان لدى هومير أو دانتي الشيء نفسه ليقوله ، فهل يرغب أن يقوله بطريقة أخرى ؟ أما عند درايدن فان تشوسر يحتاج الى الفن الحديث ليقوي موقعه ، فيطابق الابيات كما يلي :

قال ، ان الحزن الصامت استولى على المشاهدين

والملكة ، وهي (الصورة المثالية للأنوثة الكاملــة)
بسبب طبيعتها الطيبة ، زادت على الجميع ،
فبكت رقة ورحمة : ولما أخذها البكاء
بين الجوقة المتألقة سرت عدوى التأثر فيها ٠
كلهم أسقط دموعه ، حتى الخادم جارتهم بذلك ٠

ألم تسقط على انجلترا اللعنة التي انطلقت من أشعيا ، « اجعل قلب هذا الشعب أجوف ، واجعل آذانهم صماء ، واعم أبصارهم »؟

ذلك يقتضي أن يوجد أبدا التبلد الذي يسيء فهم هذا الاطنــاب المدخول لاجل التصحيح ويجعل الاسلوب الفخم فكرة مخيفة ٠ والخــوف الاشد هو أن ترى هذه التجربة متدفقة باسراف ، باستمرار ، وبابتهاج واضح ، من قلم كاتب كبير وشهير بحق ٠ ولكن الاخطر من كل هذا هو أن يعكس ذلك حتى ليظن أنه هو نفسه صاحب الاصل الاساسي ٠ ان تصحيح تسمية اميلي بقوله « حتى الخادم جارتهم بذلك » هو مــن تصحيحه ، ورونق هذا السطر « بين الجوقة المتألقة سرت عدوى التأثــر فيها » هو أيضا من عدواه الخبيثة الخاصة ٠ وقد أعجب حواريبوب كثيرا بهذا السطر الى حد أن ردده مرتين في الياذته ٠

لقد سرت العدوى بين بطانتها جميعا ٠
العدوى اللطيفة تفشت بين الابطــال ٠

انه درايدن نفسه ، عندما يتخلى عنه ذوقه الذاتي الفاســد

وتوجيه الطموح المزيف ، يستطيع أن يكتب شعرا حتى بأجود مما يكتب نثرا ، غامسا دلوه في بئر الانجليزية الصافية ، المكشوفة ، المفعمة بالحيوية ، نفسهـا ٠ فأي سعادة أن يطلب التصحيح بغير طائل وأن ينشد الرونق بالكلام الفارغ ، فتسمعه يتكلم صراحة باللغة العامية :

حتى السماوات العابسة أخذت تغير بهجتها ،
وقلب الزمن الجانب غير الصحيح من السنة ٠
وصار على الايام الملتوية العارية والشهور التي سقط ريشها
أن تأتي ،
واذا ما تباطأت في القدوم فلن تستطيع أن تبلغ موطنها ٠
من بعيد يومض دخل رتبتك الكنسية ،
وبجانب النجم وجدوا المسيح الجديـد ٠

وليس هذا في بيئته من الهجاء والمشادات وحسب بل انه في هذا الكتاب الخرافي المحض ،حيث يغامر خارج حدوده ٠ فيصدر ترجمته للزهرة والورقة(٢٢) بهذه التسعة عشر سطرا من انشائه الخاص ٠

الآن ، وقد انقلبت علامات الشتاء ، أخذت الشمس
مجراها الرفيع في برج الحمل ،
والأفلاك أخذت تزجي عربتها المدومة
عبر برج الثور وخلال مملكة الحب المرحة ،
حيث من مدارها تسقط الزهرة شآبيب المطـر

فتفرح الأرض وتلون الحقول بالازهار :
واذ لاتزال أوراق النبات الاولى الرخصة تتهيأ للظهور
والبراعم لاتزال تخشى الريح الاوراسية
تقف في باب الحياة مرتابة أن ترتدي ثياب السنة ،
الى أن تجعل الحرارة اللطيفة والامطار الناعمة المتكررة
الدم الاخضر يرقص في شرايينها •
عندئذ تتجرأ البراعم لتلبية الدعـوة
فتنتفخ ثم تنشق متفتحة ،
وتمتد الأزهار الى مدى أوسع وأوسع ،
تحيّ الشمس القادمة وتكرم وفادة النهار •
ثم من تنفس أرواحها تنبعث العذوبـة
تعطر الافلاك وتطهر الهواء الفاسد :
فيغمر القلب الفرح ، وبأغنية شاملة
ينطلق الربيع ويدعو الشهور المرحة أن تتقدم •

فأي جمال مفعم بالحيوية والقوة ! وأيّ طبيعة هذه ! أعتقد أنني أعجبت بهذه القطعة مخلصا واستمتعت بها أكثر من معاصري بوب أو جونسون

أو درايدن ، لأنني أعيش خارج سجنهم الذي أغلقه عليهم درايدن نفسه ، ولأن أذنيّ لم تكونا متجاوبة مع نغم كورس الأسرى ، وهـم ينشدون في كنيسة السجن الصغيرة ، بل وهما تصغيان الى الموسيقى

الجامحة التي تثقل كل غصن في العالم الحر خارج الجدار ٠

ولكن حتى هذه القطعة لا تؤيد تلك المقارنة كل التأييد ٠ فعندما أشرب بارولو سترافيكيو في تورين ، لن أنزعج ، بالتفكير انه يوجد في ديجون خمر أفضل ، ولا أن أتحدث بذلك ٠ الا أنه قد وجد ، ولا يزال يوجد ، شعر أجود ، لا نذكر شعر ملتون ، حتى ولا شعر انجيل المضلل والمنحرف الذي سبق درايدن ٠ على تلك الكومة الضخمة من النفايات ، يوجد لمعات مثل ، كارولين بارناسوس(٢٤) ، التي تحوي قليلا من الدرر النقية الشعاع ، على أن معظم شعر درايدن الحقيقي الخاص لاتجد فيه ، في المرة الواحدة ، أكثر من أربعة أسطر ، وفي قصيدته المبكرة ، أنوس ميرا ببليس(٢٥) ، العديمة الشكل ، والمرهقة ، نادرا ما تجد فيها أكثر من سطرين ٠

وخليفته الكبير ، بوب ، الذي كانت الياذته أشد دهشة ومثلا مغريا للاسلوب المزيف من أي عمل ذاتي لدرايدن ، وأصبحت ، كما قال كوليردج ، « المصدر الرئيسي لاسلوبنا الشعري المزيف » ، رغم أنه ترك الباب مفتوحا للآخرين على مصراعيه ، الا أنه لم يرافقهم طويلا على هذا الطريق العريض ، الذي أدى بهم الى الهلاك ٠

لقد جاء ليعترف ، وطوال العشرين سنة الاخيرة من حياته التي تقصاها بثبات ، بالميل الحقيقي لعبقريته ، في الهجاء أو النزاع : في هذين المجالين لم ينجز مقدارا ضخما ولا ميزة نادرة للشعر أكثر مما

يستوعبان ، ولاحقق ارتقاء أعلـى في المنطـاد ٠

ان موهبة بوب الشعرية أقل من موهبة درايدن ، وعلى غرار معاصريه فقد تخلص من المفردات الفقيرة ، وبالرغم من أن أكثر نظمه جيد ، الا أنه لم يصل الى ميزة درايدن المرحة في قصائده الجيدة ٠ أما الذي قربه من الشعر الصحيح فهو الحماس الداخلي المخلص ٠ ان لبوب روحا في جسده ، كان فيه ذرة من هواء ونار ، بينما لم يكن لدرايدن الا كتلة من الطين ، وكان يقدر أن يكون أنبل مما كان درايدن ٠ فهـو حتى في مرثاه سيدة غير محظوظة لم يجعل النار تتقد بلا دخان وحسب ، بل جعل صدق العاطفة يملأ نفسها بالعدالة بالطبيعة وبصفاء العبارة ٠

الراهبات لايتبرمن في غرفة ديرهن الضيقة ، والقرن الثامن عشر كان مرضيا ، ما عدا قلة من الساخطين ، بما قدمـه شعراؤه الرواد ٠ وجونسون يقول : « بالتأكيد ليس من الضروري أن يجاب على السؤال الذي طرح ذات مرة ، فيما اذا كان بوب شاعرا ، وبدلا من طرح هذا السؤال كان يمكن أن يقال بطريقة أخرى ، اذا لم يكن بوب شاعـرا ، فأين اذن يوجد الشعر ؟ « انه ، يادكتور جونسون ، يوجد عند الدكتور واتس » ٠ (٢٦)

مهدك وثـير ونـاعم ،
ومهد مخلصك كان خشنا وصلبا ،
فقد كان مولده في مـزود
ومهده الوثير كان قشـاً ٠

هذا الشعر البسيط ، وله قافية وكل ما للشعر من أصول، هو شعر فوق بوب • انه يمكن أن يوجد مرة ثانية، وعند سميك بنيامين(٢٧)، ياصمويل ، كأصلب ماتكون قطعة من الخشب تكون أنت نفسك •

أي" شبح لطيف ، يتساقط مع ندى نيسان ،
خاشعا يدعوني الى شجرة الطقوس البعيدة ،
ومغريا يوميء الي" ، أن أقترب من الشجرة المشؤومة ،
لأضفر اكليلا لرأسه أو لرأسي ؟

وعندما يقلد بوب هذا ، فانه لايقترب الى أكثر من هذا الحد ،

أي" شبح يوميء على امتداد ظلال القمر
يحث خطاي أن تتقدم الى فرجةٍ في غابة بعيدة ؟
انها هي ! ولكن لماذا ذلك الدم المتخثر في صدرها ، الخ ••

انني اذا ماسمعت شخصا يقول ، بتوكيد متحد ، أن بوب كان شاعرا ، فانني أتهمه بالدعوة الى تعزيز الفكر المشوش بغموض اللغة • أن يكون بوب شاعرا فهذه حقيقة ، الا أنها واحدة من الحقائق التي يؤثرها الكذابون ، لأنهم يحسنون استخدام وسائل التزوير • وأن لايكون بوب شاعرا فهذا افك ، مع أن الانسان المستقيم ، وهو يقف في رهبة يوم الحساب والبحيرة التي تلتهب بالنهار وبالكبريت من دونه ، يمكن أن يفضل هذا القول •

انه ليستحيل أن تعجب بمثل شعر بوب كما أعجب به جونسون

من كل قلبه، وأن تطمئن الى مثل هذا الاقتناع التام، دون دون أن تفقد القدرةعلى تقدير الشعر الجميل حق قدره أو حتى أن تميزه اذا مارأيته . ان اخلاص جونسون غير المحظوظ أن يجعل العالم يعرف مقدار تأثـره بليسيداس(٢٨) أكسب حكمه النقدي شيئا كافيا ، ولكن أن تعتبر أيضا في استجابته للشعر الذي ، مع أنه بطريقة أو بأخرى ، كتب في القـرن الثامن عشر ،نوعا مغايرا ووجيها في عصور أخرى ، وأن تعتبر موقفـه من كوللينس(٢٩) . أما بالنسبة لكوللينس نفسه فقـد شـعر بالتقدير والمحبة ، وكان على قلبه الرقيق أن يجعله يرغب أن يقول قولا حسنا في شعر صديقه ، لولا أنه كان رجلا صادقا ، لايستطيع أن يفعل ذلك .

ان المعوق الاول في معالجة موضوع الشعر هو ، كما أسلفت ، الغموض الفطري في الاصطلاح . الا أن سوق هذه الملاحظات قد أدى بنا الآن الى نقطة حيث تنتظرنا صعوبة أخرى ، لعلها أشد من الاولى ، في تحديد كفاءة أو عدم كفاءة الحكم ، الذي هو الاحساس أو اللا احساس بالمدرك . ألست قادرا على تمييز الشعر اذا أنا مضيت فيه ؟ ألا أملك الحاسة التي بها يفهم الشعر ؟ ان الاكثرية المتمدينة مـن النـوع البشري ، وفيهم من لايجادل بشهرتهم ، لم يفعلوا ذلك ، فمن يشهد اي أن أكون من الاقلية الذين يفعلونه ؟

يمكنني أن أعرف ما أحب وماأعجب به ، ويمكن أن احبه وأن أعجب به اعجابا شديدا ، ولكن ماالذي يجعلني أعتقد أنه شعر ؟ هل يكون

انباعث لان أظن ذلك شيئا آخر أكثر من هذا : ان الشعر بصورة عامة يعتبر الشكل الأرفع للادب ، وأن رأي في نفسي يحظر علي أن أعتقد أن ماأحبه كثيرا وأعجب به أكثر هو شيء أخفض من الارفع ؟ أيضا لماذا ترفض أن تسلم بأنك ربما لاتستطيع أن تفهم الشعر ؟ لماذا لاتعتقد أنه من الضروري لكي تحترم ذاتك أن عليك أن تفعل ؟ ماأكثر الصالحين والعظماء ، ماأكثر القديسين والابطال الذين كانت لديهم هذه الموهبة ؟ فهل تستطيع أن تسمع زعيق الوطواط ؟ على الأغلب لا ، ولكن هل ترى نفسك أدنى بحسب ذلك الاعتبار ؟ هل تتجرأ على الآخرين ، أو حتى أن تقنع نفسك ، أنك تستطيع ؟ هل هو شيء لايطاق ، وشيء يحطم الغرور ، أن تكون بين الأكثرية ؟

اذا كان انسان عديم الحس نحو الشعر ، ألا يتبع ذلك أنه لايحصل على متعة حسية من القصائد . القصائد يندر جدا أن تتألف من غير الشعر ولاشيء الاالشعر ، والمتعة يمكن أن تستمد أيضا من عناصرها الأخرى . انني مقتنع بأن معظم القراء ، عندما يظنون أنهم معجبون بالشعر ، يكونون مخدوعين بعدم قدرتهم على تحليل مشاعرهم ، وان اعجابهم الحقيقي لايعود الى قطعة الشعر التي بين أيديهم ، وانما يعود الى شيء آخر فيها ، يحبونه أكثر مما يحبون الشعر .

ولأبدأ بمثل واضح جدا . لقد أخبرت من قبل النساء الورعات بأن أشد شعر جمالا لديهن هو شعر كيبل(٢٠) . وكيبل شاعر ، وفي

مجموعة السنـة المسيحية(٢١) أشياء يمكـن أن يعجب بهـ الملاحـدة ، ولكن ماهو الشيء الذي تقدره النساء الورعات في هذه المجموعة ، انـه ليس شعرها ، كما يود كيبل نفسه أن يكون ، واني لأشك ، فيما لو طلب الى أي واحدة منهن أن تنتقي أجود قصيدة في هذه المجموعة ، أن ستقلب في الحال الى الاحد الثاني لعيد الفصح • ان الشعر الديني الجيد ، سواء كان عند كيبل أو دانتي(٢٢) أو جوب(٢٣) ، يحتمل أن يقدر حق قدره وأن تجد طعمه المتميز النساء غير الورعات أكثر من النساء الورعـات •

مرة أخـرى ، فقـد تأسست في القـرن الماضي مجموعـة مـن الوردسوراثيين ، كما سموا • وقد قل عدد تلك المجموعة الآن ، الا أن التقدير الحقيقي لشعر وردوسورث لم تقل نسبته : وأشك بأنه قد ازداد كثيرا • ان الوردسوراثيين ، كما قال لهم ماتيو أرنولد ، كانوا يميلون الى اطراء شاعرهم بأشياء خاطئة • كانوا مأخوذين بما يمكن أن يدعى فلسفته ، لقد قبلوا اعتقاده بمبدأ أخلاقية الكون واتجاه الاحداث نحـو الأفضل ، وكانوا يريدون أن يسلموا حتى بتصوره للطبيعة بأنهـا كائن حي حساسة ورؤوفة ، وهو تصور خيالي خـالص كتصور دريادس(٢٤) ونايداس(٢٥) • والى ذلك التفوه المثير الذي يخز القلب ويدفع بالدموع الى عيون الآلاف الذين لايلقون بالا الى آرائه واعتقاداته تعود حساسيتهم التي لاتلفت النظر ، ومهما كان اعجابهم بنفاذ بصيرته العميق فـي الطبيعة البشرية عادلا ، ومهما كانت أفكاره الأخلاقيـة شريفة ، فان

هذه الأشياء ، التي كان فيها شعره محصورا ومتحد التناسق ، هـي التي اختلفت عن الشعر نفســه •

عندما أمتحن عقلي وأحاول أن أتبين بوضوح مايتعلق بهذا الامر ، فانني لاأستطيع أن أقنع نفسي بأنه يوجد شيء مثل هذا الذي يسمـى أفكارا شعرية • ويلوح لي، أن ليس من حقيقة ثمينة جدا ، ولا مـن ملاحظة شديدة العمق ، ولا من عاطفة تستحق التفخيم ، تقتضي أن يعبر عنها بنثر •ان أقصى ماأستطيع أن أسلم به هو أن بعض الافكار قد تسلس القياد للتعبير الشعري ، وبعضها لاتسلس ، وأن تلك التي تتلقى من الشعر التزيين الذي يمجدها ويغير مظهرها الخارجي في الغالب ، تدخل بالنوع الاول ، وتلك التي لاتتلقى من الشعر تكون شيئا منفصلا ، ويعبر عنها بالتحليل •

« أيما امرىء يحرص على أن ينقذ حياته فانه يفقدها ، وأيما امرىء يحرص على أن يفقد حياته فانه سيجدها •• » هذه هي أهم حقيقة نطق بها أبدا ، وهي أعظم اكتشاف وجد في العالم الأخلاقي ، ولكنني لاأجد فيها شيئا يمكن أن أسميه شعرا •

ومن جهة أخرى ، فعندما تقول الحكمة(٢٦) في الأمثال « ذلـك الـذي يخطىء معي فمع نفسه وحدها يخطىء ، وكل أولئك الذين يكرهونني ، فالموت يحبون » ، هذا هو بالنسبة لي الشعر ، بسبب الكلمات التـي ألبستها الفكرة ،وبالنسبة للفقرة السابعة من المزمور التاسع والاربعين

في كتاب الصلاة العامة ، « الا أن انسان لايتخلى عن أخيه ، ولا هـو يتفق عليه مع الله » ، فهذا عندي هو الشعر المحرك الى حد لا أستطيع فيه أن أحبس صوتي لدى قراءته • وهذا هو تأثير اللغة الذي أستطيع أن أثبته بالتجربة : الفكرة نفسها في ترجمـة الكتاب المقدس ، « أن أحـدا منهم لا يستطيع بأي وسيلة أن يخلص أخاه • ولا أن يقدم للـه فدية لأجله » الا أنني أستطيع أن أقرأ هذه بلا عاطفة •

ان الشعر ليس الشيء الذي قيل بل هو الطريقة التي فيها يقال • فهل له عندئذ أن يفصل ويدرس منعزلا ؟ بالنسبة لتركيب اللغة مـع محتواها الفكري ، ومعناه ، فهو أشد اتحادا مما يمكن أن يتخيـل • فهل مثل هذا الشيءكشعر صافغير مختلط يمكن أن يوجد، شعر مستقل في المعنـى ؟

وحتى عندما يكون للشعر معنى ، كما هو في العادة ، فانه من غـير المستحسن أن يجرد منه • يقول كوليردج : « الشعر يعطي متعة أكثر عندما يفهم على وجه العموم وليس على الوجه الكامل • » لأن الفهم انكامل غالبا مايطفيء المتعة • القصر المسكون واحدة من أجود قصائد بـو(٢٧) مادمنا مرتاحي البال الى العوم في الاحاسيس التي تستحضرها وغموضها متوقف فقط على فهم الاستعارة •

اننا محرضون ، أنا على الأقل ، على الانزعاج منذ أن نأخذ بفهم الاستعارة ماذا تعني بالدقـة والتفصيل ، منـذ أن يلوح لنـا أن

باب القصر الجميل هو فم رودريك يوشر ، وأن اللؤلؤ والياقوت هو أسنانه وشفتاه ، والاعلام الصفراء هي شعر رأسه ، وأن علامات الشرف تقيم متاريس على جبهته الشاحبة . وعندما نضطر الى الأمل ، اذ لا يبقى لنا أكثر من الامل ، أن لا علاقة للعبير المجنح بالشعر المصقول بالزيت .

المعنى من الفكر ، الشعر ليس كذلك . واذا كان ذلك كذلك ، فقد كان للقرن الثامن عشر القدرة على أن يكتبه بأفضل مما كتبه . واذا كان للواقع أن يقوم بالفعل ، فمن هم الشعراء الانجليز في ذلك العصر الذين نجد بينهم المبرز بحيث يستطيع المرء أن يسمع وأن يميز نبرته الشعرية تمييزا واضحا من اللهجة المعاصرة ؟ هل هم هؤلاء الاربعة : كوللينس ، كريستوفر سمارت(٣٨) ، كوبر(٣٩) ، وبليك(٤٠) . وماهي الخصائص الاخرى المميزة التي اشترك فيها هؤلاء الأربعة ؟ لقد كانوا مجانين . تذكر قول أفلاطون : « ذلك الذي يأتي طارقا باب الشعر ، دون أن يكون في نفسه جنون آلهة الشعر ، ويظن أن المهارة ستجعل منه شيئا يؤهله لأن يدعى شاعرا ، سيجد أن الشعر الذي نظمه باحساسه المتزن هو ، بكل ما في الكلمة من معنى ، من شعر المجانين ».

أن لايكون الفكر منبع الشعر ، فذلك مما يمكن أن يوقف انتاجه عمليا ، وذلك لايمكن حتى من الثقة بتمييز الشعر عندما ينتج، وأصدق

حال على هذا هي حال سمارت • اذ أن لا الجائزة التي أوجدها ريف• توماس سيتون في هذه الجامعة ، ولا الخصائص الخمس للمفكرين الذين تعاقبوا على هذا الكائن الفائق يستطيعون أن يحثوه على الشعر الجيد مادام هو صحيح العقل •

ان القصيدة الوحيدة التي تذكر له ، هي القصيدة التي جاءت من قبل نفسها في مناخ القرن التاسع عشر اللطيف وكانت قد استوحت واحدة من أجود قصائد القرن العشرين ، وان لم تكن قد كتبت في ولادة واقعية ، كما يقول العرف ، فهي لاشك قد كتبت اثر التحرر ، وعندما جمع القرن الثامن عشر ، قرن العقل والفكر السليمين ، أعماله الشعرية، استثنيت هذه الرائعة كـ « حاملة براهين سوداوية على غربة فكره الحديث » •

ورغم أن كوللينس وكوبر قد شاهدا مستشفى المجانين من الداخل ، فليس من المفترض أنهما كتبا شعرهما فيه ، وبليك لم يبلغ من الجنون بحيث يحبس نفسه في ذلك المستشفى • الا أن عناصر طبيعتهم كانت أكثر أو أقل تمردا على طغيان الفكر المتمركز ، وأدمغتهم لم تجلس على العرش الذي استطاع المغتصب الكبير أن يجلس عليه آمنا • وكان من الغرابة بمكانة أن يسوغ في القرن الثامن عشر ، وهو عصر النثر والشعر غير السليم أو غير المرضي ، تفجر بئر من الالهام الصافي •

وعندي أن أكثر الشعراء شاعرية على الاطلاق هو بليك ٠ انـــي أجد أن جرسه الغنائي من الجمال بقدر ماكان جرس شكسبير وأشد جمالا من جرس أي شاعر آخر ، بل انني لأعلن أنه أكثر شاعرية من شكسبير ، رغم أن شكسبير أغزر منــه شعرا ، لأن الشعــر في بليــك يرجح على كل شيء آخر أكثر مما هو في شكسبير ، وعوضا عن أن يختلط بنهر كبير فانه يشرب من قناة صافية خاصة به ٠

شكسبير أغنى فكرا ، ولمعانيه من القوة الذاتية مايحركنا ، حتى اذا لم يكن الشعر هناك: المعنى عند بليك كثيرا مايكون قليل الاهميــة أو لاوجود له بالفعل ، ولكننا نستطيع أن نصغي بكل اهتمام الــى نغمته السماوية ٠

حتى شكسبير ، الذي لديه شيء كثير يقوله ، كان يهرق شعره الفاتن دون أن يقول شيئا ٠

أبعدي أوه أبعدي هاتين الشفتين
فانهما كاذبتان بقدر ماهما عذبتان ،
وهاتان العينان ، بــزوغ الفجر ،
تتألقان حتى ضل الصباح طريقه ،
ومع أن قبلاتي تتكــرر ،
وتتكــرر ،
تختم على الحب ، ولكنها عبثا تختم ،
عبثــا تختم ٠

هذا هراء ، ولكنه شعر فاتن • وعندما يملأ شكسبير مثل هذا الشــعر بالفكرة ، وتكون الفكرة أوجه ما في هذا الشعر ، كما في قوله / لاتخافي أن تزيدي الحرارة ، أيتها الشمس / أو /أوه ياعشيقتي ، أين كنت هائمة ؟ فهذه الاغاني ، وهي في قمة الانجاز الغنائي ، أعظم القصائد وأشدها تحريكا ، ولكنني لاأعرف لماذا لاأعتبرها شاعرية لابشق النفس •

وبليك الآن مرارا وتكرارا ، مثل شكسبير الآن وبعدئذ ، يعطينا شعرا نقيا ، أو مذوقا بقليل مـن المعنـى الى حـد لايستشف منــه الا العاطفة الشعرية والمادة الشعرية •

اصغ الى صوت الشاعر المنشد ،
الذي يبصر الحاضر ، الماضي ، والمستقبل ،
الذي سمعت أذناه
الكلمة القدسيــة

التي تمشي بين الأشجار العتيقة ،
مناديــا الــروح المتداعية
ومنتحبا في ندى المساء ،
عسى أن يسيطر
على القطب المتألق بالنجوم ،

ويسقط ، يسقط النور من جديد •
«أيتها الأرض ، عودي ، أيتها الارض !

انهضي من العشب المندّى ،
فالليل قـد تــولى
والصباح ينهض من الموسيقى الهادئة ٠
لاتذهب أبعد مما ذهبت ،
لماذا تمعن في البعاد
والارضية المتألقة ،
والشاطىء الزاخـر
في حوزتك حتى بزوغ الفجر ٠ »

ذلك الجلال الغامض يمكن أن يكون أقل فخامة فيما لو كان أقل غموضا ، واذا كانت الافكار الجنينية ، التي هي كل مافي المحتوى ، هي التي تكسو الشكل والصورة الشعريـة ، والتكثيف الموحي نفسه داخل الفكرة ٠

أيتها الذكرى ، اقتربي أكثر
ووقعي أنغامك المرحـة ،
وحينما تطفو موسيقاك
فوق الهـواء
سأقف على الجدول متأمـلا
حيث يتنهد حلم العاشقين ،
وأترصد الخيالات عندما تمـر
خلال العشب المروي بالمـاء

هذا لايجيب عن شيء حقيقي ، أنغام الذكرى المرحة والتعابير الاخـرى هي عبارات فارغة ، لاشيء فيها يستطاع تخيله ، والمقطوعة لاتفعـل شيئا الا أن توقع القارىء في شبكة من متعة خالية من الفكرة والاشعار التي أنا بصدد قراءتها الان ربما كان لها معنى عند بليك ، وتلامدته يظنون أنهم يجدون ذلك المعنى ، الا أن هذا المعنى فقير سخيف مخيب للآمـال اذا ماقورن بالاشعار نفسها ٠

شبحي ليلا ونهـارا مـن حولي
كوحش بري يحرس طريقي ،
والفيض بعيدا في داخلي
يبكي خطيئتي بلا انقطاع ٠
وفي عمق لامحدود ولايسبر غوره ،
نهيم هناك ، وهناك نبكي ،
وعلى الرياح الجائعة الملحـة
يسعى شبحي وراءك ٠
انه يتنسم رائحة خطاك في الثلج
وحيثما ذهبت ،
تحت البرد العاصف والمطـر
فمتى ستعودين مرة ثانية ؟
ألست غرورا وازدراء تملئين
نهاري كله بالعواصف ،

وبالغيرة والمخاوف
تملئين ليالي الممتعة بالدموع ؟
سبعة من أحبتي الاثيرين
أفقدتهم سكينك الحياة ،
أضرحتهم الرخامية شيدتها من دموعي
ومن مخاوفي الباردة المرعـدة ٠
سبعة أحبة آخرين ليلا ونهارا يبكون
حول الاضرحة حيث يرقد السبعة الاول ،
وسبعة ثالثة يسهرون كل ليلـة
بمشاعلهم الساطعة من حول مضجعي
وسبعةرابعة منالأحبة فيسريري يكللونبالخمر رأسي الحزين،
مسترحمين ومستغفرين
لكل آثامـك الكبيرة والصغيرة ٠
فمتى ستعودين وتريـن
أحبتي ، والحياة لهم تجددين ؟
متى ستعودين وتعيشين ؟
ممتى سترحمينني كمـا رحمتك ؟

انني لست كفؤا أن أصيغ الافكار الواضحة التي يمكن أن تماثـل ذلك النظم الفائق وتنسجم مع الرعشة القوية للاثارة غير المعقولة التي ترسي هذه الكلمات في منطقة ما أعمق من الفكر ٠ وأخيرا اليك هـذه

المقطوعة ، الموجهة « الى المتهم الذي هو ۰۰۰۰ هذا العالم » ۰

رغم أنك عبدت بأسماء مقدسة

من يسوع ويهوه ، فانك لاتزال ابن الصباح
الهابط في ليلة مضطربة ،
وحلم المسافر الضائع تحت رابية ۰

هذ ه السطور توهم أنها لاهوتية : وأي معنى لاهوتي فيها ، اذا كان لها معنى ؟ انني لاأقدر أن أتخيل هذا المعنى ولاأشعر بالحاجة لان أتعلمه : انها شعر صرف ذو وجود مستقل ، لاتترك متسعا في لاي شيء آخر غـيرهـا ۰

ان الشعر لدى معظم الشعراء ، كما قلت ، كان في حالات كثيرة أقل تحررا من ملازماته المألوفة ، من أشياء معينة اتحد معها طبيعيا الى حد يجعل تمييز هذا المزيج متعذرا ۰ اليك هذا المثال :

آسف ، ان ذلك لن يكون أسفا ، بل هو سرور ،
والحب التعيس ، ان لم يكن مؤلماً
أن تسمع من ذلك ، أن المجد الذي يضاف
الى الجنس البشري ، فما عسى أن نكون ۰

ان الاحساس الذي فيه تقرأ هذه السطور مركب ، لان احدى مقوماتــه مستمدة من حقيقة عميقة لفكرة نفـاذة ۰
أيضا هذه الاسطر :

بينما الحب يتذمر والعقل يغتاظ ،
جاء صوت بـلا جواب ، ـ
« ينبغي أن يأمن الانسان الهلاك الابدي ،
لان عليه أن يموت في سبيل الحقيقة » ٠

أكثر العاطفة التي تثيرها هذه الابيات ترجع الى نبل الفكرة العاطفية ٠ أما في هذه الكلمات الست البسيطة للمتـــون ـ

الحوريات والرعاة ، لن يرقصوا بعد اليوم ـ

فما هو الذي يستدر الدموع في هذه ، وكما أعرف أنها استطاعت ذلك ، من عيون أكثر من واحد من القراء ؟ وماذا يوجد في العالم يستحق أن يبكى عليه ؟ لماذا يكون لمجرد كلمات تأثير جسدي على العاطفة اذا ما كان معنى القطعة مرحا ومبهجا ؟ هل أستطيع أن أقول لان هـذه الكلمات كانت شعرا وحسب ، ووجدت طريقهـا الى شـيء ما غامض وخفي في الانسان ، شيء ما أقدم من النظام الحاضر لطبيعة الانسان ، كبقع المستنقعات التي لاتزال تنتشر هنا وهناك في الارض المجففة في كامبردجشير ٠

في الواقع أن الشعر يلوح لي جسدانيا أكثر مما هو فكري ٠ منذ سنة أو سنتين تلقيت به بالاشتراك مع آخرين ، سؤالا من أمريكا أن أعرف الشعر ٠ وكان جوابي أنني لاأستطيع تعريف الشعر بأكثر مما يستطيع الترير (كلب صيد صغير) أن يعرف الجرذ ، ولكنني أعتقد أن كلينا يستطيع أن يميز الباعث بوساطة الاشارات التي يثيرها

فينا • وقد وصفت احدى هذه الاشارات بعلاقتها مع باعث آخر من قبل اليفاز التيمنايت : «عبرت روح من أمام وجهي : شعر جسدي وقفلها» •

وقد علمتني التجربة ، عندما أحلق ذقني في الصباح ، أن أستمر بمراقبة أفكاري ، فكان شعرها ، اذا ماضل بيت شعر عن ذاكرتي ، يقف متصلبا الى حد أن الموسى يتوقف عن عمله • هذه الاشارة الخاصة ترافق بارتجافة تتحدر في العمود الفقري ، وارتجافة أخـرى تشكل تقلصات في الحلق وتدفع بالماء الى العينيين ، وهناك ارتجافـة ثالثـة لاأستطيع أن أصفها الا باستعارة فقرة من احدى رسائل كيتس الاخيرة، حيث يقول ، متكلما الى فاني براون ، « أي شيء يذكرني بما يجري فيّ كالحرية » • ومقر هذا الشعور هو تجويف المعدة •

ان آرائي في الشعر مصبوغة بالضرورة ، ولربما كان عليّ أن أقول ملطخة ، بالظروف التي كان علي أن أحتك بها من جانبين • لقد قلنا منذ فترة ان الشعر اصطلاح واسع جدا ، وكثير المعاني الى حد متعب هو من السعة بحيث يستغرق كتابين ، ومن حسن الحظ أن هذين الكتابين الضخمين ، ليسا من كتبي أنا • انني أعرف كيف جاءت هذه المـادة الى الوجود ، ومع أنه لاحق لي أن أدعي بأن أي شعر آخر جاء الى الوجود بالطريقة ذاتها ، فاني أجد سببا للاعتقاد أن بعض الشعر ، والشعر الجيد حقا ، قد جاء بهذه الطريقة •

ورد سورث مثلا يقول بأن الشعر فيض تلقائي للمشاعر القوية • وبورنس(٤١) كان قد ترك لنا هذا الاعتراف ، « لقد نظمـت في حياتـي

مرتين أو ثلاث مرات من الرغبة في النظم أكثر من الدافع ، ولكنني أبدا لم أوفق لأي هدف » •

وباختصار فاني أعتقد أن انتاج الشعر ، في طـوره الاول ، مؤثـر أقل مما هو مؤثر فيه وهو عملية الزامية ، واذا لم أكن مجبرا ، على أن لاأعرف الشعر ، بل أن أسمي طبقة الاشياء التي ينتمي اليها فعلي أن أسميه افرازا ، سواء أكان افرازا طبيعيا ، مثل زيت التربنتين في التنوب ، أم افرازا مرضيا ، مثل اللؤلؤ في المحار • وأعتقد أن حالتـي الخاصة ، مع العلم أني لاأعالج هذه المادة بذكاء شديد كما يفعل المحار ، هي الحالة الأخيرة ، اذ يندر أن أكتب الشعر الا اذا كنت معتلا ، ومالم تكن التجربة ،رغم أنها مبهجة ، مهيجة ومضنية بصورة عامة • واذا كان لك فقط أن تعرف ماذا تتجنب،فانني سأقدم لك بعض الوصف للعملية •

أتناول قليلا من البيرة خلال الغداء ـ البيرة مسكنة للدماغ ، مابعد الظهر أقل مساهمة فكرية في حياتي ـ أرغب أن أخرج للمشي مـدة ساعتين أو ثلاث • مادمت أمشي ، فاني لاأفكر بشيء خاص ، وانما أنظر الى الاشياء من حولي متتبعا تقدم الفصول ، عندئذ يمكن أن يفيض في فكري ، بعاطفة مفاجئة وغير محتسبـة ، أحيانـاً بيـت أو بيتان من الشعر ، وأحيانا المقطوعة كلها دفعة واحدة ، مصحوبين بفكرة غامضة للقصيدة التي قضي عليهما أن يكونا جزءا منها ، وليسـا

بسابقين • عندئذ قد يحل خمود لساعة أو نحوها ، ثم قد يعود الفيض تدفقا مرة ثانية •

سميت ذلك تدفقا ، لأنني ، مادمت مستطيعا أن أكمل المقطوعة ، فان منبع الوحي الذي لاينفك يقدم للدماغ هو الهوة التي كنت ذكرتها سابقا اتفاقا ، وهي تجويف المعدة • وعندما أرجع الى البيت أكتب ما اندفق الى ذهني ، تاركا الفجوات ، على أمل أن يأتي وحي أبعد مدى فأكملها في يوم آخـر •

أحيانا تتم القصيدة، اذا كنت أمشي بذهن متفتح وصورة متوقعة في الفكر ، الا أن القصيدة في بعض الاحيان توشك أن تكون في اليد ، وقد أتمها الدماغ ، الذي هو عرضة لأن يكون موضوع اضطراب وقلق ، شاملا التجربة والخيبة ، وأحيانا ينتهي الامر الى الاخفاق •

يخطر لي أن أتذكر بوضوح أصول القطعة التي أثبتت أخيرا في ديواني الاول • مقطوعتان ، ولا أقول أيهما ، اندفعتا الى رأسي ، تماما كأنهما برسم الطبع ، بينما كنت أعبر زاوية هامبستيد هيث بين فندق الاسبان وممر تيبل فورتشون • مقطوعة ثالثـة جاءت بعـد مجاذبة قصيرة من شرب الشاي • وكان هناك احساس بمقطوعة رابعة ، الا أنها لم تأت ، فكان علي أن أعود اليها وأن أؤلفها فـي نفسي ، وهذا هو العمل المضني • لقد كتبتها ثلاث عشـرة مـرة ، واستغرقت أكثر من اثني عشر شهرا قبل أن أصل بها الى الوجـه الصحيح •

والى هذا الوقت فلعلكم قد أشبعتم بالتشريح ، علـم الأمـراض أسبابها وأعراضها ، والسيرة الذاتية ، وتريدون أن تتركوني أتقهقر من غزوتي لمناطق أجنبية من النقد الادبي ٠ وداعا الى الابد ٠ ولن أقول مع كوليردج انني سأمركز فكري الخالد في فترة عميقة من الارضـاء الذاتي الخانع ، بل انني سأرجع الى عملي الرئيسي مرتاحا وشاكرا ٠

هـوامش

١ ــ ليسنج ، (١٧٢٩ ــ ٨١) ، ناقد ودرامي الماني . كان ناقدا للمسرح القومي في هامبرغ . في سنة ١٧٧٠ كان أمين مكتبة الدوق برونسويك . كان ، بلا نزاع ، اول ناقد في أوربا ، يحرر الأدب الألماني من التقليد الضيق للمدرسة الفرنسية الكلاسيكية ، كما كان من اشخاص التنوير البارزين .

٢ ــ نزل تابارد ، مشهد من اجتماع الحجاج من حكايات كانتربري لتشوسر ، في ساوسوارك . بقي قائما حتى سنة ١٨٧٥ .

٣ ــ وليم جبلين ، (١٧٢٤ ــ ١٨٠٤) ، كان مدرسا وقس بولدر . شهر بسلسلته ، رحلة مصورة ، وله مؤلفات أخرى .

٤ ــ بيجاسوس ، فرس مجنح انطلق من دم ميدوسا ، لما قطع راسها بيروسيوس . انفجر ينبوع في جبل هيليكون بوقع حافره . روضة نبتون أو منيرفا . بعض افترضوا أن بيلليروفون حاول ان يصعد الى السماء على بيجاسوس ، عوقب على هذا العمل الطائش أن أرسل جوبيتر حشرة تهيج بيجاسوس ليسقط راكبه . كان اثيرا لدى آلهة الشعر .

٥ ــ صمويل دانيل ، (١٥٦٢ ــ ١٦١٩) ، ابن أستاذ موسيقى ، قام بزيارة لايطاليا ، بعدها كان معلما خاصا لوليم هربرت ، ثم لآن كليفورد ، ابنة كونتيسة كومبرلاند . ذكر في « كولين كلاوت » لسبنسر . له مجموعة سونيتات بعنوان « ديليا » .

٦ ــ جيمس بروس ، (١٧٣٠ ــ ٩٤) ، قام برحلات في أفريقيا . كتب قصصا ممتعة بعنوان « رحلات لاكتشاف منبع النيل » .

٧ ــ لاقرينة توكد هذا الاسم من اسم آخر اختلف بالتهجئة ، فآثرتتركه.

٨ ــ صمويل جونسون ، (١٧٠٩ ــ ٨٤) ، ولد في ليشفيلد لكتبي في تلك البلدة . قضى أربعة عشر شهرا في اكسفورد وتركها دون أن يحصل على درجة . توفي والده وترك الأسرة في فاقة . عاش فترة في بيرمنغهام حيث ساهم بنشر مقالات في « بيرمنغهام جورنال » . تزوج اليزابيت بورتر ، أرملة تكبره بالسن ، كانت تدير مدرسة خاصة في ايديال ، ولكن الزواج لم يكن ناجحا .

دخل في خدمة ادوارد الناشر ومؤسس مجلة الجنتلمن سنة ١٧٣١ ، والى هذه كان يكتب مقالات وقصائد . ثم أخذت مؤلفاته تتوالى في مجالات عديدة .

٩ ــ دونكان في ماكبث لشكسبير ، ملك اسكوتلندا الذي قتله ماكبث .

١٠ ــ جونسون ، تقدم تعريفه .

١١ ــ سامسون أغونستس ، تراجيديا الملتون ، نشرت سنة ١٦٧١ في ، الفردوس المستعاد .

١٢ ــ القصائد الغنائية،مجموعة قصائد لورد سورث وكوليردج ، ظهرت سنة ١٧٩٨ .

١٣ ــ جون درايدن ، (١٦٣١ ــ ١٧٠٠) ، ولد في أبرشية الدونيكل ، وتلقى علومه فيوستمنستر . قيل أنه كان يعد نفسه للحاق بابن عمه الذي كان أمين خزانة كروموبل . مثلت اول مسرحياته النثرية سنة ١٦٦٣ . عين شاعرا للبلاط سنة ١٦٦٨ . كتب حوالي أربع عشرة مسرحية بين سنوات ١٦٦٨ ــ ١٦٨١ كتب قطعا نقدية اتخذت مقدمات لمسرحياته . في سنة ١٦٨٠ بدأت فترة قصائد الهجاء والاهداء . رفض ان يقسم يمين الولاء للثورة فجرد من البلاط ومن كل امتيازاته التي حصل عليها. شغل القسم الأخير منحياته بالترجمة.

والأثر ولاخير المهم هو مجموعة تفاسير لأساطير تشوسر ، بوكاشيو ، وأوفيد.

١٤ ــ ماتيو أرنولد ، (١٨٢٢ ــ ١٨٨٨) ، ولد في ترية ليلهام على ضفاف نهر التيمس . كان أبوه يدير مدرسة خاصة . أرسل ماتيو الى ونشستر ، مدرسة والده القديمة ، وبعد عام نقل الى رجبي ، حيث القى قصيدة نالت جائزة .

أمضى أرنولد بضعة أشهر في رجبي في وظيفة مدرس ، ثم صار سنة ١٨٤٧ سكرتيرا خاصا للورد لانسدون. عين أرنولد مفتشا للمدارس سنة ١٨٥١، وشغل هذا المنصب خمسا وثلاثين سنة . قبل أن يشغل هذا المنصب كان قد نشر « المعربد الشارد وقصائد أخرى » ، الذي سحب بعد نشره . وفي سنة ١٨٥٧ عين استاذا للشعر في جامعة اكسفورد ، والقى سلسلة من المحاضرات القيمة عن ترجمة هوميروس ، ولكنه لم يحرز شهرة خارج نطاق العالم الأكاديمي حتى سنة ١٨٦٥ بنشره « مقالات في النقد » .

١٥ ــ ويليم وردسورث ، (١٧٧٠ ــ ١٨٥٠) ، ولد في كوكرموث ، وكان ابن وكيل دعاوي في ذلك المكان . قام سنة ١٧٩٠ برحلة على قدميه في فرنسا ، الألب وايطاليا ، ثم رجع الى فرنسا ومكث فيها سنة كاملة ، وكانت الحركة الثورية في عنفوانها آنذاك ، وتركت تأثيرا قويا في فكره . نشر سنة ١٧٩٣ نزهة مسائية ، وقصة وصفية لجبال الألب . تلقى سنة ١٧٩٥ مبلغ تسع مئة جنيه من ميراث صديقه رايزلي كدلالة للاعجاب بعبقريته . واتصل في تلك السنة ذاتها بكوليردج وكانت صداقة قوية متطورة ، واصدرا معا « القصائد الغنائية » التي بعثت الحيوية في الشعر الانجليزي .

تزوج ماري هوتشي سنة ١٨٠٢ .عهد اليه بمكتب توزيع الطوابع في منطقة

وستمورلاند سنة ١٨١٣ ، ودرت عليه مبلغ ٤٠٠ جنيه في السنة . في سنوات ١٨٢٠/١٨٢٣/١٨٢٨/ قام برحلة في أوربا ، ونشر ديوانا بعنوان « مذكرات رحلة في أوربا » . وأوحت اليه رحلته في ايطاليا سنة ١٨٣٧ ، عدة قطع نشرتفي المجلد الأخير من « قصائد السنوات الاولى والأخيرة المهمة » . استقال من مكتب الطوابع . وفي سنة ١٨٤٣ خلف ساوشي شاعرا للبلاط . له كتابات نثرية بالاضافة الى الدواوين الشعرية . وكانت كتاباته الاخيرة تظهر انقلابه السياسي من ثوري الى مناوىء للحرية .

١٦ (مكرر) كوليردج ، (١٧٧٢ ــ ١٨٣٤) ، ابن كاهن في ديفون . اتصل بروبرت شاوسي . كرسا نفسيهما لنوع من الشيوعية فكرا أن يحققاها في صفاف ساسكيهانا . تزوج من سارا فرايكر سنة ١٧٩٥ ، وتزوج ساوشي من اختها .

كان منذ أول سنة ١٧٩٣ الى ٩٥ يرسل قصائد الى « مورنينج كرونيكل » . وكتب « سقوط بروسبيير » مع ساوشي سنة ١٧٩٤ . أصدر جريدة « المراقب » سنة ١٧٩٦ التي لم يصدر منها الا عشرة أعداد فقط . اتصل بورد سورث . عاش الشاعران متلاصقين في نيزر ستوي حوالي سنة .

كتب القسم الأول من « كريستابل » و « قوبلاخان » سنة ١٧٩٧ . سافر الى مالطاوايطالياسنة ١٨٠٤ ، حتى وقع سنة ١٨٠٦ فريسة للأفيون . كان يلقي محاضراته في المركز الملكي عن الشعر الانجليزي سنة ١٨٠٨ ، وفي السنة التالية اصدر « الصديق » ، وهي صحيفة اسبوعية في الأدب والأخلاق والسياسية . أمضى القسم الأخير من حياته في بيوت أصدقائه . ظهر له سنة ١٨١٧ كتاب

« تراجم أدبية » ، وكتب ثلاث مسرحيات ، وبالاضافة الى الشعر لـه كتابـات نقدية قيمـة .

١٧ — جون ملتون ، (١٦٠٨ — ١٦٧٤) ، ولد في بريد ستريت . نـال درجة ب.أ سنة ١٦٣٩ ، ودرجة م.أ سنة ١٦٣٢ . وهو في كمردج نظم قصائد « بمناسبة طفلة جميلة » و « في التجارب الفارغة » وبعض الأمثال والمراثـي باللاتينية ، ولكنه ضرب ضربته المميزة في « في صباح ميلاد المسيح » سنة ١٦٢٩.

لم يتخذ أي مهنة بعد أن ترك كمردج ، بل عاش في بيوكيـز يقـرأ الآثـار الكلاسيكية مع أبيه ، ويعد نفسه لمهنة شاعر من سنة ١٦٣٢ الى ١٦٣٧ . كتب لاسيداس سنة ١٦٣٧ ، وخلال العشرين سنة التي مرت بين تأليف هاتين القطعتين وبين كتابة الفردوس المفقود . لم ينظم من الشعر الا السونيتات .

أخذ يسافر الى الخارج منذ سنة ١٦٣٧ الى ١٦٣٩ ، وبصورة خاصة الى ايطاليا . زار جروتيوس وجاليلو في السجن . وفي رجعته أصبح مـؤدب أولاد أخته . نشر سنة ١٦٤١ سلسلة كراسات ضد الأسقفية متبـادلا الجـدال مـع بيشوب هول . تزوج ابنة أبوين ملكيين سنة ١٦٤٢ على الاغلب في تموز ، ذهبت الى أهلها بعد ستة اشهر ، ولم ترجع . في سنة ١٦٤٣ نشر كراسته في «نظريـة ونظام الطلاق » التي أذاعت شهرته .

ترك تعليم التلاميذ سنة ١٦٤٧ . تحسنت ظروفه بموت والده . نشر « حق الملوك والقضاة » بعد اعدام تشارلس الأول . ماتت زوجته الأولى سنة ١٦٥٢ ، تاركة له ثلاث بنات . تزوج بكاترين وودكوك ، وماتت ١٦٥٨ ، ثم تـزوج مـن اليزابيت مينشول سنة ١٦٦٢ ، ثم انتقل الى ما يسمى الآن بومنهيل حيث قضـى السنين الأخيرة من حياته .

انهى الفردوس المفقود سنة ١٦٦٣ ، ولكن الموافقة على نسخه لم توقع الا سنة ١٦٦٧ . قصيدته الاخيرة ، الفردوس المستعاد ، وكفاح شمشون طبعتا معا سنة ١٦٧١ . نثره اللاتيني تضمن كتاب « العقيدة المسيحية » .

١٨ ــ جريمي تايلور ، (١٦١٣ ــ ٦٧) ، ولد في كمردج. كان ابن حلاق. استلفت انتباه لاود كواعظ فأرسله الى اكسفورد . سجن في الانهزام الملكي امام قلعة كارديجان سنة ١٦٤٥ . رجع الى غولدن حيث كتب معظم أعماله .

١٩ ــ خصلة الشعر ، قصيدة لبوب ، نشرت سنة ١٧١٢ في نشيدين . ثم وسعها الى خمسة أناشيد ، وهكذا نشرت سنة ١٧١٤ .

٢٠ ــ الملاح العجوز ، قصيدة كوليردج المشهورة . أول ما ظهرت سنة ١٧٩٨ في القصائد الغنائية ، المشتركة لورد سورث وكوليردج .

٢١ ــ دونسياد ، قصيدة هجائية لبوب ، طبع منها ثلاثة كتب بلا اسم سنة ١٧٢٨ .

ــ التذييل للمحاضر : ومن المألوف الآن أن نقول ان القرن الثامن عشر صار له لغة خاصة به ومميزة . لغة كانت في السبعينات والثمانينات من خصائص الشعراء الصغار والشويعريين الذين استعملوا الأسلوب الشعري المفترض نفسه . وكان جافا وتقليديا ، وان كان غير مناف للطبيعة ، وكانت خصيصته الرئيسية الابتذال والجاذبية المتلاشية .

كما يضطجع امرؤ من فترة اضطراب
مهدهدا باغنية من سيرس وخمرها
في حدائق قرب سور بروسيرباين ،
حيث نسيت جزيرة ايان في عرض البحر ،

ولا يشكو الا شهوات الحب المنحطـة ،
وليس الا ظلال صنوبر العشاق الشاحب
بقدر ما يكون هذا المرء مسرورا أن يعرف البحر
الملح على شفتيه ، والفراغ الواسع مرة اخرى ....

وكان جو القرن الثامن عشر قد جعل شعراء مجيدين كثيرين يكتبون شعـرا اردأ من هـذا بكثير :

أنظـر حيث يتفتح الزهر لساعات ،
ويظهر موكب الزهرة الفاتـن ،
يكشف الزهور التي انتظرت زمنا طويلا
ويوقظ السنة اللؤلؤية ـ .
والرخـام الاغريقي يسكب اغانيـه

وهكذا دواليك . هاوسمان .

٢٢ ـ جيوفري تشوسر (١٣٤٠ ـ ١٤٠٠) ، ابن جون تشوسر . دخل سنة ١٣٥٧ في خدمة ليونيل ، ثم دوق كلارنس . كان في الجيش الذي غزا بـه ادوارد الثالث فرنسا سنة ١٣٥٩ . اخذ اسيرا ، ثم فودي بعد فترة قصيرة .

تزوج فيليبا ، ابنة سرباين ، وماتت سنة ١٣٨٧ . ارسل في بعثة الى جينوا وفلورنسا سنة ١٣٧٢ ـ ٧٣ ، وقابل بوكاشيو وبترارك . قلد منصبا دبلوماسيا في فرنسا ، ثم عين حاكما للجمارك في ميناء لندن وليسد ، وكان فارس مقاطعـة شير سنة ١٣٨٦ ، والى كانتربوري ذهب حاجا سنة ١٣٨٨ .

تقع كتابة تشوسر في ثلاث فترات : ١ ـ فترة التاثير الفرنسي (١٣٥٩ ـ ٧٢) ، ٢ ـ فترة التأثير الايطالي ، وخاصة دانتي وبوكاشيو (١٣٧٢ ـ ٨٦) ،

٣ ــ فترة نضوجه (١٣٨٦ ــ ١٤٠٠) والى هذه الفترة تعزى حكايات كانتربوري.

٢٣ ــ الزهرة والورقة ، قصة رمزية في ست مئة بيت ، نسبت سابقا الى تشوسر .

٢٤ ــ بارناسوس ، جبل في اليونان ، على بضعة أميال شمال دلفي . ابو لو احدى تممه .

٢٥ ــ انوس ميرابيلس ، قصيدة لدرايدن ، نشرت سنة ١٦٦٧ . كتبت علــى غرار جوندبيرت .

٢٦ ــ اسحاق واتس (١٦٧٤ ــ ١٧٤٨) يذكر كمؤلف أناشيد مقدســة للأطفــال .

٢٧ ــ لاترينة تعينـــه .

٢٨ ــ لسيداس ، قصيدة لملتون ، كتبت سنة ١٦٣٧ ، عندمــا كــان في هارتون . مرثاة بشكل ريفي .

٢٩ ــ ويليم كوللينس (١٧٢١ ــ ١٧٥٩)، ابن بائع قبعات في شيشستر. كان شاعرا غنائيا رائعا . ولكن لسوء الحظ مرتين ، كان مقلا في الأولى ، وضاع بعض قليله في الثانية . جن ومات في بيت أخته في شيشستر .

٣٠ ــ جون كيبل (١٧٩٢ ــ ١٨٦٦) ، تعلم في كوريوس كريست كولليج في اكسفورد ، أصبح زميلا في أوريل كولليج ، واستاذ الشعر في اكسفورد . برز بكتابــة الشعر المقدس .

٣١ ــ السنة المسيحية ، مجموعة قصائد مقدسة لكبيل ، نشرت سنة ١٨٢٧ . حققت شهرة واسعة بجمالها الشعري وعلاقتها بحركة اكسفورد .

٣٢ ــ دانتي اليجيري (١٢٦٥ ــ ١٣٢١) ، الشاعر الايطالي الكبير ، ولد في فلورنسا على الأرجح . كان أبوه محاميا . ظروف حياته غامضة الى حد ما ، وكانت موضوع نقاش كبير . المصدر الرئيسي لمعلومات عنه ، هو « حياة دانتي » لبوكاشيو . صاحب الكوميديا اللاهية المشهورة .

٣٣ ــ جوب ، أيوب الصابر .

٣٤ ــ دريادس وهاما دريادس ، حوريات الغابة في اعتقاد اليونان والرومان .

٣٥ ــ نايداس ، ترنيمة لنايداس ، قصيدة لأكنساید ، كتبت سنة ١٧٤٦ ، ونشرت سنة ١٧٥٨ في مجموعة قصائد دودسلي .

٣٦ ــ حكمة سليمان ، الأربعة عشر كتابا المشكوك بنسبتها . ربما كانت من أصل يوناني في فترة ما قبل المسيحية .

٣٧ ــ ادغار آلان بو (١٨٠٩ ــ ١٨٤٩) ، ولد في بوسطن ، ماس ، من ابوين ممثلين . أصبح يتيما في طفولته المبكرة . رباه وحماه جون الان ، وهو مصدر تبغ في ريتشوند . حمل بو الى انكلترا وأرسل الى مدرسة في ستون نيوينغتون ، وبالتدريج وصل الى جامعة فيرجينا لسنة واحدة . انضم الى الجيش الامريكي سنة ١٨٢٨ . دخل الأكاديمية الحربية ، ولكنه طرد سنة ١٨٣٢ . ولما لم تصادف قصائده الأولى قبولا فقد مال الى الصحافة . فكان رئيس تحرير لمجلات مختلفة ، منها « المراسل الأدبي الجنوبي » التي نشر فيها بعض قصصه الجيدة . وبالاضافة الى الشعر والقصة فقد كتب كثيرا في النقد الأدبي .

٣٨ ــ كريستوفر سمارت (١٧٢٢ ــ ١٧٧١) تعلم في مدرسة ديورهام وكامردج . نشر ديوانين سنة ١٧٥٢ و ١٧٦٣ . يذكر بصورة خاصة بـ :

« أغنية الى داؤد » ، يعتبر فيها الملك داؤد كأعظم شاعر . مات مديونا ومجنونا.

٣٩ ــ (مكرر) ، ويليم كوبر (١٧٣١ ــ ١٨٠٠) ابن عميد بركهامبسند .
كان كاتب مقالات لمحام من سنة ١٧٥٠ الى ١٧٥٢ . أصيب بنوبة ، تطورت الى الجنون وهم أن ينتحر . شفي من جنونه ولكنه عاش في عزلة ، ساكنا في بيت مورلي يونوين ، حيث وافقته الحياة البسيطة . بعد موت يونوين سافر مع أرملته الى أولني بتأثير من الخوري نيوتن . عاد اليه الجنون سنة ١٧٧٣ ، بعد ذلك انسحب عنه تأثير نيوتن ، وصار يكثر من كتابة الشعر . ماتت عنه السيدة يونوين ، فدوخل في عقله وجسمه ، وكتب قصيدة « المنبوذ » الجميلة قبل وفاته بقليل . رسائله المدهشة ، التي طبعت عدة مرات ، تلقي ضوءا على سذاجته ولطفه وشخصيته الانسانية ، وشعره يعتبر مثالا في البساطة .

٤٠ ــ ويليم بليك (١٧٥٧ ــ ١٨٢٧) ، ابن تاجر لندني للجوارب والملابس الداخلية . لم يذهب الى المدرسة ، بل كان تلميذا لجيمس بارنير ، النقاش في جمعية الأثريات .

قصائده الاولى ، وصف شعري نشرت سنة ١٧٨٣ على نفقة صديقه فلاكسمان والسيدة ماثيو . سنة ١٧٨٩ ، نشر ديوانه ، أغنيات بريئة ، التي اظهر فيها قالبه الأسطوري الفكري . عمله النثري الرئيسي ، زواج السماء والجحيم ، نشر سنة ١٧٩٠ ، وفي « الثورة الفرنسية » سنة ١٧٩١ . وفي سنة ١٨٠٤ بدأ يرسم آثاره الرمزية الأخيرة ، ملتون، و « القدس » . قصائده الأخيرة، تحتوي بعض القصائد الغنائية الجميلة .

■ اعتمد « دليل اكسفورد للأدب الانجليزي » في هذه الهوامش .

للأمانــة .... كلمــة بعــد القــراءة

عزيــزي

لايضرني أن أعترف لك ان هذه المحاضرة ، محاضرة القيت في كامبردج فــي ٩ أيار سنة ١٩٣٣ ، كانت من أعوص ما قرأته بالانجليزية حتــى الآن .

ترجمتها لنفسي عسى أن أفهمها على حقها سنة ١٩٧٠ . لأن مجرد كلمــة « شــعر » مكتوبة أو ملفوظة ، تجعل قلبي يتطلع اليها كما تتطلع نفس القط الى سمكة بأية كيفية كانت . واسمح لي أن أستعمل هذا التشبيه ، لأنني ما رأيت شيئا يشبه ولعي بالشعر الا ولع القطط بالسمك . فان ارى كتابة تعنون بكلمة شعر ، ولا اقراها احس كالشوك في راسي وكسوء الهضم في معدتي ، وان اقــرا ذلــك ولا افهمه على وجهه ، احس كشوك الصبار في اللســان وكالرشح فــي الحلــق .

بعد الفراغ من الترجمة أعدت قراءة الاصل مرتين . عندئذ سولت لي نفسي أن أبيض الترجمة لأضيفها الى ما لدي من ترجمات انجليزية . ولكن التبييض ، الذي كان سنة ١٩٧٢ ، كان أعوص من الترجمة الاولى .

عدت الى الاصل كأني اقراه لأول مرة . اندفعت سنة ٧٨ الى ترجمته مرة ثالثة . ولما أخذت أضربها علــى الآلة الكاتبة ، أستطيع أن أعتبر ذلك ترجمة رابعة فالــى أي حد وفقت في هذه الترجمة ؟

في كل ما ترجمته ، قبلها وبعدها ، أستطيع أن أضمن فيه ٩٥٪ من الصحة ،

فهل أضمن لك مثل هذه النسبة ، في محاضرة لاتزيد عن خمسين صفحة من القطع الصغير ، لا اقول بأن خمسين خطيئة تختلف صغراً ، الى حد لاتكاد تذكر ، وكبرا ، الى حد لاتغفر ، قد وقعت ، ولكني أؤكد لك بأن ثلاث جمل انسدت علي حتى الابهام .

ستلمس خلال القراءة ، اذا قرأتها قبل هذا الاعتراف ، ان الجمل المعطوفة بواو العطف كثيرة .. هكذا هو الاصل . ولما كنت التزم بالأصل حرفيا ، فقد تقيدت بهذه الواو الى حد ضجرت منه .

وجه الصعوبة في الترجمة أن النص محاضرة ، وعلى من يترجمها أن يكون متمثلا للأدب الانجليزي ، في القرون السابع والثامن والتاسع عشر ؛ كما كان صاحبها . وصحيح أنه سبق لي أن ترجمت « كتاب اكسفورد للشعر الانجليزي » واكثر من نصف « تاريخ الادب الانجليزي » لكازميان منذ الستينات ، ولكن هذا لايعني اني تمثلت الادب الانجليزي ، ولاتنورت فيه الى درجة أن أمشي بلا عثرات .

لماذا اذن أوردت نفسي هذا المورد ؟ قلت لك ان مجرد كلمة شعر تفرض نفسها علي . وزاد في هذا الفرض نبضات من سخرية في أسلوب المحاضر . والسخرية في الكتابة تشدني اليها كما يشدني المزاح يصدر من امرأة . السخرية هي حاسة الكتابة السادسة ، مثلما المزاح هو الحاسة الاولى في المرأة . اني أكره التزمت والترصن في الكتابة ، بقدر ما أستوحش من هذه الصفات في المرأة .

واضافت « ملزمة » أخرى لشدي الى المحاضرة ، هي أنني لم اقرأ في مثل

هذا الموضوع شيئاً آخر ، الى درجة اعتبرت فيها المحاضرة جديدة علي ، جديدة في محاولة تعريف الشعر ومعرفة طبيعته ، لعل ذلك يضيف شيئا الى تعريفنا ، نحن العرب ، للشعر ، وبخاصة اننا في فترة تمحـى فيها معالم الشعر ، ويضيع كما تضيع المياه القلية في جوانب نهر واسع .

وبالمناسبة أطلعك على طريقتي في الترجمة . انني لا اترك كلمة واحدة من النص الأصلي . اترجم بالكلمة وبالجملة لا بالمعنـى ، واحرص كل الحرص ان انقـل خصائص أسلوب النص الاصلي . نقل خصائص الاسلوب أساسي كنقل المعاني تماما .. لا أضيف كلمات من عندي كما أضاف درايدن على تشوسـر .

عندما حدث بعض قصائده بعد أن اغتنت اللغة الانجليزية بالالفاظ ، وهذا ما أخذه المحاضر على درايدن .

ثانيا ، ان القواميس الانجليزية ـ العربية ، ولدي منها القاموس العصري والمورد ، هي الأخرى تترجم المفردات من الانجليزية الى العربية ، وكثيـر مـن المفردات التي نحتاج الى مراجعتها في هذه القواميس لاتعطي المعنـى الدقيـق للمفردة ، وبالطبع ، نحن لم نعش في وطن هذه الاصلي ليكون لنا حس تلك اللغة الذي لاتنقله الترجمة .. ولي أن افترض في مثـل هذه الحالات النادرة ، ولكنني لا آمن الخطأ ، فالمترجم ، في نظري ، مربوط الى وتد ، وليس طليقا يجري على هـواه .

أعترف لك بهذا حتى تكون بينة من أمرك ، وحتى اذا مر بك شيء ترتـاب فيـه ، تقول هذا مما أشكل على المترجم ... مع كل التقدير لتعبـك .

■ **يوسـف**

الشاعر الايطالي
أنطونيو أوزناتو

في مجموعته الشعرية الجديدة صلاة من أجل حصان

○ ترجمة: د. عيسى الناعوري

الصديق الشاعر الايطالي أنطونيو أوزناتو ، شاعر شاب من جزيرة صقلية • عرفته في مدينة باليرمو ، عاصمة الجزيرة ، على أثر تسلمي شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة باليرمو ، عام ١٩٧٦ • وقد زرته في منزله هناك ، وأهدى الي مجموعتيه الشعريتين الاوليتين ، ومجموعة ثالثة بالفرنسية تشمل ترجمات لقصائد مختارة من المجموعتين الايطاليتين •

كان أوزناتو حينذاك يتلمس طريقه الى حيث يصبح واحدا من شعراء ايطاليا المعروفين ، وكان ما يزال على أول الدرب ، يكتب الشعر بالايطالية ، ويكتبه بالعامية الصقلية كذلك • وكانت احدى مجموعتيه بأكملها بالعامية الصقلية ، وعنوانها « Vulissi cantar » أي : (أريد أن أغني) ، وكانت الثانية بالايطالية ، وعنوانها (La sera respira) أي (يتنفس المساء) ، وقد صدرت هذه عام ١٩٧٤ وصدرت الاخرى عام ١٩٧٥ • وأما المجموعة الفرنسية

المترجمة عن المجموعتين فعنوانها (Paralleles Chemins) أي (الطرق المتوازية) .

وأنطونيو أوزناتو يعمل قاضي صلح، ولكنه يكتب الشعر في أوقات فراغه.ولعل عمله في القضاء يتناسب تماما مع نزعته الشعرية،ويساعد على تحقيق ما في نفسه من نزوع الى الخير والعدالة وتبادل المحبة بين الناس . وهذه المعاني هي، في الواقع، من أهم ما تدور عليه قصائده ، سواء منها ما كان في مجموعتيه السابقتين، وما في مجموعته الجديدة ، التي صدرت في أواخر عام ١٩٨٠ ، وجعل عنوانها « Padre Nostro per un cavallo » أي (صلاة من أجل الحصان) .

ونحن نلمس نزعته الانسانية بشكل خاص في قصيدته « أخي الأسود » ، من مجموعتيه الاوليتين ، وفيها يقول :

أخي الزنجي ، ان أغنيتك لا لون لها
ولكنها تلامس قلبي .
وليس عرقك أسود ، ولكنه
يسحّ على جلدك
الذي لا يرى فيه أخوك الأبيض غير السواد .
أخي الزنجيّ ، في مدينة تنداري
صليت أنا أمام تمثال أسود للسيدة العذراء .
فصلّ أنت أيضا أمام عذراء بيضاء

لعلّ قلب أخيك الأبيض
يصبح أقـل سوادا (١)

لقد حدثني أوزناتو في لقاءات متكررة لنا في باليرمو عن رغبته في أن ينتقل من محكمة الصلح التي كان يعمل فيها حينئذ ، ليصبح قاضيا للاطفال والاحداث ، لأنه أميل الى التعامل مع الصغار منه مع الكبار • وهو يجد في الصغار براءة وعفوية وقلوبا طيبة يسهل عليه ، ويروق له ، التعامل معها ، ويرى في اصلاحها اصلاحا للمجتمع من أصوله الاولى • وهذا أيضا دليل آخر على نزعة أوزناتو الانسانية ، وايمانه بتحقيق العدالة بين بني الانسان •

والحقيقة ان مجموعته الشعرية ـ وهي تتسم بكثير من النضج ومن غنى الشاعرية ـ مليئـة بالقصائد المعبـرة عـن نزعـة أوزنـاتـو الانسانية ، وعن ألمـه الشديد لما يراه من تفريق بين الانسان والانسان، ومن محاولات الانسان تشويه الطبيعة،ومن ركضه القلق وراء الاختراعات المؤدية الى الكوارث ، والى الجناية على الانسان وعلى الانسانية •

ولعل قصيدته الأولى في هذه المجموعة ، ومن عنوانها أخذ عنـوان المجموعة كلها ، وهي : (صلاة من أجل حصان) ، من أبرز الأدلة على ذلك ، فهو يقول فيها :

---

(١) انظر كتابي « مختارات من الشعر الايطالي المعاصر » المطبوع في دمشق عام ١٩٧٨ (ع • ن)

٠٠٠ واليوم ، في أيام الصيف الساطعة بالنور
أصبح الانسان يحب الخيول الفولاذية
التي تقـوده ،
نشـوان بالقلـق ،
نحـو آفـاق الخديعـة والمصائـب ٠

حتى مياه السين الجاريـة في صمت وهدوء ، يراها الشاعر دموعا وبكاء على تعاسة البشرية ، فهو يقول :

نهر السين يبكـي تعاسـة
هـذه البشـريـة
وتجـري دموعـه بطيئـة
تحـت جسـور باريـس ٠

وهو في مجموعته الجديدة يكثر من ذكر (الليل ـ والظلام ـ والسواد) دليلا على ما يعانيه من ألم لمصير انسان العصر ، الذي يجري وراء الهـمّ ، والمصائـب ، والقلق ، والذي لا يعـرف الحب ، ولا العدالة ، ولا الانسانية الصحيحة ٠ فهو يقول في احدى قصائده :

أيتها النجوم ، يا فوانيس
السموات العلى ، أعيديني
الى الله ، لأن
ليلي ظلام دامـس ٠

وهو يرى أن حياته لا شمس فيها ، ولكن :

عندما أزول من الوجود
٠٠٠ويتحوّل جسدي الى حجر
حينذاك ستشرق الشمس في ليلي

لقد أردت من هذا التمهيد أن أضع يد القارىء على بعض المفاتيح الاولية لقصائد الشاعر الصديق أنطونيو أوزناتو ٠ وليس من قصدي أن أحول طويلا دون استمتاع القارىء بما في قصائد مجموعة أوزناتو الجديدة من غنى شعري ، ومن جمال ، ومن روح انسانية رقيقة شفافة ٠

وها أنا أقدم للقارىء القسم الأكبر من قصائد المجموعة مترجمة الى العربية ، محافظا ما وسعني الجهد على أن أقدم للقارىء روح الشاعر ، ومعانيه ، وأسلوبه معا ٠

١ ــ صلاة من أجل حصان

في آب الغنيّ بالشمس والأشعة الشُقر
كنتَ تبدو لي منحوتا على التل ،
وكنت تمضغ السنابل
التي لم ترها
العيون البشرية التائهة ٠
وكان رفاقك
في ذلك الحقل يأكلون التبن وحده

يوم كان الرجل منهوكا من عمل الدراسة ،
وكان يقتسم الفقر الكادح مع الكلاب ، والذباب ، والبعوض .

واليوم ، في أيام الصيف الساطعة بالنور
أصبح الانسان يحب الخيول الفولاذية
التي تقوده ،
نشوان بالقلق ،
نحو آفاق الخديعة ، والمصائب .
أيها الحصان ، لا تشكر صاحبك البخيل
فالسنابل التي تقضمها خلقها الله لك أنت أيضا
في حين أن الانسان لا يريد أن يتقاسمها مع اخوانه
الذين يعتبرهم شبيهين بك .

٢ ـ عيد ميلاد في باريس

نهر السين يبكي تعاسة
هذه البشرية ،
وتجري دموعه بطيئة
تحت جسور باريس ،
وتغني كنيسة نوتردام لمولد
طفل الكتب المقدسة .
انّ السين يسكب دموع الفرح

في هذه الليلة الباردة
التي ينيرهـا الأمـل
ليوقظ الأرض من نومهـا ٠

- ٣

نجني ثمار صداقة هزيلة
في مستنبتنا الضنين
وننتشي ببريق الذهب الذي يبهر العيون
ولا نتنشق عطر الياسمين ٠
ونظل" متأهبين على شواطىء النهر
في انتظار هيكل سفينة العدو" ،
فاذا بالتيار يبتلعنا في دو٣متـه
التي يغذيها غرورنـا ،
الرفيق الملازم لوجودنا بأكمله ٠

- ٤

يا وقـع خطـواتـي ،
ويا دقـات قلـبي
ويا فراغ هذه الساعات ،
أشعلي مصابيـح
الشوق لتهدهد ليلتـي ٠
أيتها النجوم ، يا مصابيـح

السموات العلى ، أعيديني
الى الله ، لأن
ليلي ظلام دامس

٥ -

أي معنى للحياة دون روح
تعطر الخطى الموغلة في النفايات ؟
أيتها الدودة التي تتغذى باللحم
ستكونين سيدة الوجود
اذا لم تكن روح الحياة
هي جوهر الوجود .

٦ -

عندما أزول من الوجود
أريد أن أقيم
في قبر صغير في أحد الجبال
حيث البنفسج وعشوش عصافير الدوري
ستزيّن وسادتي .
ستزورني هنا جذوع الصنوبر
وستحدثني عن زيتونات جَفت
من نفاق من ظلوا

يتشدّقون بمفاوضات السلام ،
هذا الشبح الوهميّ في الحياة،
الذي عُثر عليه بين الحجارة
التي لا تترعرع فيها بذور الزمان والسياسة .

- ٧ -

عندما أزول من الوجود ،
وعندما يصبح الجمال من حظ الآخرين ،
وحينما يسود الصمت في الأرض ،
ويتحوّل جسمي الى حجر ،
حينذاك ستشرق الشمس في ليلي .

- ٨ -

أذهب الى السينما ،
ويا للطقوس الدموية !
أقلّب الجريدة ،
فيا لمسيرة الآلام !
وأشعل التلفزيون ،
ويالأمطار العنف !
وأذهب الى المسرح ،
فيا لرائحة القبور والجيف !

وأجلس الى البار ،
المال هناك هو المعيار الاخلاقي !
وأصعد الى كرسي القضاء ،
فأجد الحقد بدل المنطق والحق .
اننا في شفافية الظلمة
نجلس فوق الهاوية

٩ — الى الفتيات مدمنات التخدير

أيها الحسّون الحزين في ليلة لا نجوم فيها ،
ان جسدك الوحشي يفوح برائحة الكبريت ،
وعينيك تحلمان بشهوات الموت .
لا تهربي من الحقيقة :
حقيقتك وحقيقتنا معا .
ان الازقة التي تعبرينها لا سلام فيها ،
فحطّمي الحواجز ،
وطيري نحو الريح ،
لا تشربي الماء الأسود ،
واقطفي من المروج براعم الزهر .

عند ذاك فقط ستعطر شفتاك المزهرتان من جديد
مرارة الليل ،
في حين تبكي الضباع عند الجداول العفنة .

١٠ ـ طريق الغد

تطير الشحارير الحرّة في الفضاء
في حين يلعب الأطفال لعبة الحرب ٠
ويُقرَع الجرس
ويُطوَى العلم
فوق دار البلدية ،
وترتفع الأسلاك الهوائية أعلى من
جرسيات الكنائس ٠
لقد أقفر الريف ،
وفي الحانة يشرب الرجل
نخب هوائيّ جهازه التلفزيوني
وقد أصبح هذا الجهاز راية العصر الجديد
اللا مبالي بطريق الغد ،
في حين تطير الشحارير ٠٠٠ في السماء ٠

١١ ـ

أحد المصريين يخرج من قبره ،
وفيما هو يسير على الأرض
سأل هذا العصر :
من هو ميكيلانجيلو ؟

ـ انّه صانع الاطارات لاعلانات الشوارع
القائمة في زاوية الشارع الأول !
ومن هو كانوفا ؟
ـ انّه بائع الأزهار
في الضاحية !
ومن هو أفلاطون ؟
ـ انّه كبير الحيّ !
ومن هو المسيح ؟
ـ انّه أحد أصحاب المعارض !
« شكرا يا زمن البراعة الغبية ! »
كذلك أجاب الظل المصري ..
متابعا سيره
نحو القناة الثالثة في التلفيزيون !

ـ ١٢ ـ

تقرع الأجراس للمحبين
وحينما يتوّقف الرنين
يبقى غناء الحب ،
الغناء العالميّ والابديّ
الذي يظلّ حيّا بعد أن
تكون أجسامنا كأغصان الشجر ،
يجرّها نهر الزمان الماضي بعيدا بعيدا .

١٣ ــ تذكــارات تــــدور

تذكارات تلفّ وتدور
كأنها الريــاح ،
وتطرق في الليــل
عــلى باب وجودي
المخــلوع ٠
أودّ لو أوقفهــا
غير أنني لا أجد أشباح الزمان الماضي ٠
لقد كان العيد قصيرا
وفي يقظتي أجــد
في رفقتــي الأخطــاء
تهدهدني في
بحــر لا رجــاء فيــه٠

١٤ ــ في مدينــة تيــرنــي

في (الساحة الكبرى)
مائدة صغيرة من المرمر
باردة كالزمن العابر ٠
وثمّــة ابتسامة المرأة
دافئــة كشمس كاستيليا ٠

انـّها نافذة مفتوحة على الليل الدامس ٠

- ١٥ -

في فجر يوم ربيعـيّ
داعبنـي عبير الراتينج ،
واذ قطفـت ثمـرة
من صنوبرة صامتـة
في المرج المزهر ، دمدَمت
غابـة الصنوبر من شدّة الفرح ٠٠٠
ونثر قلبها براعم ورديـة
حملتها الريح اليكِ ٠

- ١٦ -

أيها الحبّ ! حين كنـّا صغارا
لم تكن لدينا كلمات تكفي للتعبير عنك ٠
والآن نحاول اللعبة من جديد ، بأن نجمع
بريد الأوهام الفارغـة ٠
فلتذهب يا قلبي الى المنفى
قبل أن تكتشف نورا
في الايـّام الجديدة التي تتبعثر
فيهاويـة عيني المرأة !

١٧ ـ مئـــة بعـــير

قادني الليل الى غرفة الذكريات
حيث ينتظر بملء القلق مئة بعير
لأمضي بها من جديد على طريق الصحراء ٠
انني أحبّ الصحراء ، حيث لا طرق مظلمة ، ولا أزقة عمياء ،
وحيث العيون المستغرقة لا ترى غير أفكار تلبس لباس العيد ٠
في الصحراء سيرافقني ظلي
وسيقودني بيـده نحو النسيان ٠

١٨ ـ

يتساءل الانسان اليوم :
لماذا يسقط كلّ شيء ؟
ولماذا ليست المرأة حارسا
للأصـل وللحسـب ؟
ولماذا ليس لله مكان في بيوت الناس ؟
هذا هو السبب في سقوط كلّ شيء ،
وانكسارِه ، وتحطّمـه ، وتهشّمِه
وتحوّلِه الى عـدم !

١٩ ـ الأخ

الأخ هو من يبتسم لك

وقد وجدتَــه لدى بائع الصحف ٠
انــه من يفتح لك الباب ،
وقـد وجدتَــه في المصعـد ٠
وانــه من يمدّ لك يـده ،
وقد وجدتَــه في القطار ٠
وهو من لا يدير لك ظهره ،
وقد لقيتَــه في الجماعات المختلفة ٠
فكم مرّة فعل لك مثل ذلك
أبنــاء أبويك ؟!

– ٤٠

رأيت الشرّ
يتحوّل الى عُلّيق ،
والعُلّيق يثمر توتا برّيا ،
وتلك هي معجزة الحبّ !

□ □ □

سبع قصائد للشاعر التشيكي

أنطونين بارتوتشيك

○ ترجمة : عبدالغني اصطيف

الشاعر :

ولد انطونين بارتوتشيك في عام ١٩٢١ ، في « زلتافا » التي تقع في « مورافيا الغربية » ، ودرس في جامعة تشارلز في براغ . وهو يعمل الآن في « مكتب الدولة للآثار التاريخية » . له ست مجموعات شعرية هي : ـ شظايا ـ ١٩٤٥ ، و ـ المفارقة ـ ١٩٦٥ ، ـ الفريزات الحمر ـ ١٩٦٧ ، و ـ رقص طائر الامو ـ و ـ عدو النجم ـ ١٩٦٩ ، و ـ التقدم الملكي ـ ١٩٧٠ . وهو معروف بترجماته للشعر الامريكي والفرنسي والالماني اضافة الى مقالاته في حقل تاريخ الفن ، وفي النقد الادبي .

□ □ □

القصائد :

ـ ١ ـ

معركة

تلك الليلة

وقفنا بصمت

تحت قبة السماء السامقة
وإذا ..
ماأسف أحدنا لشيء
فذلك اذن لحقيقة
أن الغيوم كانت تحجب النجوم

*

ولكن مع هـــذا
كان المساء
مثـــل
معركة انتهت
وفيهـــا
مات الجنود كلهم
من أجل مليكهم
وعندما تفرقت
الغيـــوم
وكشفت
النجـــوم
أمر الجنرال بوتمكين
فوج جثث

أن يوارى
رفاقنا الموتى

*

- ٢ -

معنى خفي

ان تلد الهرة ثلاث هريرات
فان واحدة منها لن تكون كالاخريات
وربما كان هذا لان
مشكلة حجر الفلاسفة
قد حلت منذ زمن بعيد

*

ومعامل ما صغير منعزل
من تاريخنا ؟
ربمـا
يحطم الامل فينا
ولكنه لايمكن أن يأخـذ
آمالنا كلها

*

المعنى الظاهر لهذا اللغـو

يكمن في القيمة العددية العليـا
لوجودنـا

*

اذا ماسقطت السماء منهـارة
فاننا نبقى قادرين على تعليق آمالنا على مكان
صغير محدد
في مكان مـا
على حافة الخلـود

* *

- ٣ -

ثمـة حـدود معينـة

ثمة حدود معينــة
ان يتجاوزها المـرء
معناه أن يجد نفسه
في مكــان مـا
لاتقتضيه العــادة

*

ثمة حدود معينة
انيتجاوزها المـرء

معناه أن يتبين
عبث جدل الحب والكراهية

*

وهكذا يغدو الحب
حبا عظيما لاحدود لـه ٠
وتغدو الكراهية
موتاً لانهايــة لــه

* *

ـ ٤ ـ

تصــور

في زمن حقائق غير مؤكدة كهذه
حقائق غير مؤكدة كهذه
ـ مظلمة هذه الغرفة ـ
ماذا نعرف عن الضوء الكامن وراء النافذة
عن الصباح الذي سيأتي بصخب في الغد
مستخدماً وجوهنا ليدعونا بأسمائنا

*

أنتم جميعاً ـ للذين يترادف عندهم
الأذى والحيــاة ـ

أعيش
أعيش أيضاً
ـ أحمي لهبي المتواضع بكفيّ
كما في العاصفة ـ
أفتح باب القبـر
وأدخـل

* *

ـ ٥ ـ

عـودة الشـعراء

مثل ديـدان القزّ
نلتقي بشعرائنا
الذين تفيلجوا لسنوات
في الحـظ العاثـر

*

لسنوات ، تألقت شمس الظـلام
وسقط الدم عوضاً عن المطـر
وبلغ مستنقع الوحـل
منـا الأفـواه

وعندئذ
في أشجار التوت الخضراء للأمـل
كان بامكان العين السريعة أن تبيّن
حركة أبدا بين الأغصان
في أيك أشجار التوت المورقـة
في شرانـق الحب
غزلوا كلماتهم في خيوط حريرية
من الكلام الصامت
ولهذا ينبغي ألا نكون عـراة
عندما نبثق ثانية
ضمن ضـوء
الواقـع

*

- ٦ -

مـوت قيصـر

في الصباح ، وقبل الفجر
تحدث الى مجلس الشيوخ للمرة الأخيرة
وفي الخارج ، في الظـلام
تخلى الناس عن هويتهم من جديد

أبدا ماكانت الشجرة خائنــة
ـ حتى بورقة واحدة ـ
الى أن سقطت

*

وحالما طعن القاتل ،
سجعت حمامة بريــة
بين الأغصان ،
بين النفس الأول للرجل الميت
والنفس التالي
أفكار الشعر في آذار

* *

ـ ٧ ـ

حديقـة في الشـتاء

لندع الافكار تنمو
كأغصان الشجر

*

ولكن ماذا لو غطاها الثلج ؟

*

جذور قلقة متصلبة
وحشد من الرجال العجائز يرتجفون
في الغابة المجاورة للجدول
وبيت مهجور
ممتلىء بالحديث المنسي

*

امض واسأل كل أولئك
الذين كانوا حضورا
عندما تفتحت الزهـــرة
لزقزقة العصافـــير

* *

ملاحظـــة :

القصائد مترجمة عن « ثلاثة شعراء تشيكين » من سلسلة بنغوين للشعراء الاوروبيـــين المحدثين ، لندن ١٩٧١ ، الصفحات : ٩٣ ـ ٩٤ ، ٨٣ ، ٧٣ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ٨٩ ، ١٠٢ وانظر :
Three Czech Poets , Pemguin Booles London , 1971 .

شاعر من فنلندا

إلمر ديكتونيوس

○ ترجمة : كمال فوزي الشرابي

ولد المر ديكتونيوس (١٨٩٦ — ١٩٦١) بمدينة هلسنكي ، عاصمة فنلندا ، من أب يملك مطبعة. بعد دراسات موسيقية وادبية في فرنسا وانكلترا وتشيكوسلوفاكيا عاد الى بلاده التي كان متيما بحبها . يقول : « اتمنى أن اموت في وطني مع اطلالة الخريف. » أصدر على التوالي عدة مجلات كانت مجمع انتاج الشعراء والادباء المحدثين بفنلندا . وتقترب الحداثة عند هؤلاء الكتاب من التعبيرية الالمانية ومن قصائد الشاعر الاميركي ولت ويتمان .

ظهرت في بواكير اشعار ديكتونيوس الدعوة الى التمرد والقضاء على الظلم بجميع اشكاله ، وتميزت اشعاره التالية ببرامج عمل هادفة قادته الى خوض غمار السياسة والاشتراكية والتقدمية .. يقول في قصيدة له وكأنه يتحدث عن فلسطين والشعب الفلسطيني والعودة :

سنلد اولادا ليحاربوا ،
سنفسح لنا مكانا ،
نريد أن نرى بقع الشمس
وهي ترقص ذات يوم .

أما موضوعات المر ديكتونيوس المختارة فهي النار ، والعاصفة ، والجوع . مجد عمال المناجم في ممارستهم اعمالهم الخطرة . وتغنى بهدوء الطبيعة في بلاده وجمالها ونضارتها ، كما صور الام الطفولة المعذبة وعذوبة الاطفال ... في الخمسينات صدرت له بباريس ، تحت اشرافه ، ترجمات لاعماله الكاملة باللغة الفرنسية . وفيما يلي ترجمة اربع من قصائده :

١ ـ تألقات معتمة

تعلمني الصخرة الكبيرة الهدوء :
أن أكون وانتظر فحسب ـ
كل شيء على المدى يصير ،
كلُ شيء على المدى يزول ،
تعلمني الصخرة الكبيرة :
أن أكون وانتظر ٠

* *

ارجميني بحجارة محرقــة ،
احفري قبري في حمم حمر بلون الجمر ،
ضعي جسدي في الأرض التي تلهث
لكي تحس روحي انها في بيتها ،
نار القلب على قلب النار ،
فم الشاعر على فم البركان ٠

٢ ـ يـد البحر

ـ ١ ـ

ضعتُ
فوجدتُ يد البحر ،
وطريقه المفتوحة أبداً ،

والاشعاعات الخضر للأمواج
سرت ُ ويد َ البحر ،
ما أعذب هدوء المساء ٠
ماأطيب نشـوة الفجـر ٠
ثم تلقفني وحش ُ العاصفة
بين ذراعيــه ٠

*

يا لَفرحي لو أكون فضالة
تشر ّقـُها الأعماق !
ذات يو موجدت نفسي
على الشاطىء ،
يد البحر في يــدي
وصوتي في همسه :
نحن الذين بقينا أحياء !

- ٢ -

يــد البحر
تقود ّبعذوبة فائقــة
المراكب المنحرفــة
نحو هدوء الخلجان ٠

هناك يستريح الحطام المحظوظ
وفيه أسماك صغيرة ،
تهدهده ببطء
حركات الأمواج .

٣ ـ قصيدة الى جان سيبيليوس(١)

ما من كلمة ولدت للأعمى
الذي تشعله الأنغام ـ
يرن الفرح والعذاب ـ
تغلي تيارات وحشية ـ
ويغني على المياه السوداء تَـمْ(٢) بلادنا ،
ويدق نفير الراعي .

*

الليل ، النهار .
الينبوع الكبير العميق .
حشود من الأنغام تغادر
ضباب القوى الأصلية
وهي غضبى
حتى التجلي .
الشمس ، القمر .

يشع الفجر الشمالي ·
المياه الهادئة
والغبطة الحالمة للموت ·
الانسان :
هذه هي الحياة ·
نضج مفعم في التكامل ·
وتؤنس الأنغام
حياة البشر البؤساء ،
وتحمل عزاء شيء بعيد
حيث يبقى ، خارج الزمن ، السلام السعيد
ومنه تفوح الطيبة كما من قلب حنون ·

٤ ـ الفهد (٢)

في الليل
يدمدم الشلال في مكان بعيد ،
ينام الفهد ،
تلحس نملة مخلبها ·
من تراه يوشوش :
أوَ يصلُ الصباحُ ،
وترقص بُقَعُ الشمس ؟

*

لترقص بقع الشمس !
اعصار مرن ٠
وبقفزة ينطلق الفهد
فوق الصنوبر ـ
استمع الى ضحك النجوم في زئيره ـ
وارتداده في الهواء ـ
كسهم يشك في أعماق صدر الارض ٠

*
* *

اشارات :

(١) ــ جان سيبيليوس : موسيقار فنلندي كبير (١٨٦٥ ــ ١٩٥٧) . ذو الهام ثري ، ورحابة وقدرة على تصوير طبيعة بلاده وروح شعبه في تطلعاته الى العدل والحرية . له كونشرتو للكمان ، وسبع سنفونيات ، وقصائد سنفونية ، وموسيقا مسرحية ، ورباعية . من اشهر مقطوعاته :« فنلنديا » .

(٢) ــ التم (لا البجع كما هو شائع خطا) : طائر كبير جميل بحجم البط أو أكبر منه ــ بالفرنسية CYGNE

(٣) ــ الفهد أو الفهود (بسكون الفين وفتح الواو) : نمر مرقط يبلغ طوله أحيانا ــ ١٣٠ ــ سنتيمترا .

مِن شعر الشباب في العالم

○ ترجمة : ابراهيم الجرادي

ان هذه القصائد المختارة لشعراء شباب من دول مختلفة ، تعطي دلالات كثيرة حول «التفكير» الجديد ، الذي يتمحور حوله شباب العالم ، الذين يمارسون كتابة الشعر ، وهي في الوقت نفسه تضعنا في مكانة تؤهل النقاد منا ، لرؤية ما وصل اليه الشباب عندنا في تجاربهم الابداعية .

انها ليست قضية موازنة ، ولكن الشعر ظاهرة لاتقف عند حدود جغرافية ، والمكاسب فيه لاتحجز ضمن وقت زمني أو مكاني .

ان الاختيار لم يقم الا على الذوق الخاص ، والامكانية في تصور النماذج التي تعطي مثلا عاما .

معظم هذه القصائد اخترته من مجلات أو جرائد ، قليلها فقط ، اخذ من مجاميع فردية اوعامة . والصلة الشخصية أحيانا ــ عن طريق المهرجانات الشبابية، الجامعية التي جرت في الاتحاد السوفييتي ــ كانت الطريق للوصول الى نتاج هؤلاء الشعراء .

ميزة أخرى فيما نترجم . تتمركز في السؤال الهام :

الى اي مستوى وصلت تجارب الشباب عندنا ؟

لنقارن .. ولنبحث في الاسباب والوسائل .

ايلديكـــو

(هنغاريا)

- من مواليد ١٩٥٥ ، تحمل شهادة التجارة الخارجية .
- تترجم عن الروسية .
- تعترض القارىء في شعرها خصائص الحكمة الهادئة ، والبحث عن علاقات انسانية صحيحـة وبسيطـة .

الحب والطبيعة والتامل من المناطق الاساسية التي يتحرك عليها شعرها الوجداني .

* *

في الشارع الليلي ،
فانوس وخمارة ٠
ثمة رجل يحتضن امرأة
وهي تبكي !
تخاصما ؟
ربمـا !
ابتدعا خصومة مؤقتة منعاً للملل ؟
ربمـا !
وأنت ٠٠ أيها المدرك مابي ؛
تأخذك الخطى الى البعيد ٠
في الشارع الليلي فانوس وخمارة ٠
الليل سيف يقطف الضوء من سطوح البيوت ٠

وفي الصباح
يقطف سيف الشمس الساطعة ،
الأوراق اليابسة عن رؤوس الشجر ٠
أتذكر ؟
كان فيما بيننا كالدفء ٠
وكنت لك : سخونة المودة ٠
وكنت لي : رائحة الثلج خلف النافذة !
والناس كانت في الضجيج تبحث عن أصحابها ،
وفي العمل تغادر الملـل ٠
الناس ٠٠ ليس لنا بدونهم حياة ٠
فالغابة ليست لنا ،
وليست لنا الجزيرة الوحيدة ،
وأنت في الشارع الصامت ،
في الشارع الضيق فانوس وخمارة ٠
أين مجد تلك الساعة القديمة ؟
لا موعد بيننا ولا جواب !
الطيور ؟ أوطانها في الشجر وفي أعالي الجبال ٠
والأشجار ؟ أوطانها التربة والريح والمطر ٠
والبحر ؟ موطنه الموجة والشاطىء والجليد ٠
وأنت موطن قلبي والورق الأبيض والقلم ٠

في الشارع الليلي فانوس وخمارة ٠
ثمة رجل يحتضن امرأة وهي تهذي : أحبك ٠
ابتدعا لعبة ليس بدونها حياة : الحب ٠
أيها المدرك مابي
قلبي فانوس وفي الصباح ستسطع الشمس ٠

* *

المطـــــر

وجـلا
يتساقط الرذاذ على النافذة ،
وتشع حباته فوق الزجـاج ،
وتخترق العصافير شباكه المائية ٠
وكالموسيقا ينبعث صوت تساقطه الوئيـد
وترتفع رائحة الارض الى الاعلى ،
وتخضر الحقول وتسعد الروح ٠
تزهو الجبال بخضرتها
وتسرع الأنهـار
أبدا
يبعث المطر الحياة ٠

وأبدا نحتاج للماء ،
والحب .

*

في معطف كالعشب اليابس ،
يقبل في الشارع الذي يفرق بين حديقتين .
استجدي تلك الخطوات المسرعة
أن تتمهل ،
فلربما يعرف الزمن قيمتــه
ونلتقــي .
نرسم بالألوان المتعددة حاجتنا للقاء .
وحيث لايعرف الناس
ويظهر تجافيهم
يظل صوتك حنوناً يخترق الرؤوس النائمة .
لست معنية بأوهام الآخريــن
وكما انني أحب الورد الاحمر
أريد أن يكون العالم طيباً ،
دائماً ، وفي كل مكــان
لاحرب . لاظلم . لابغضاء .
فقط ، الورد ينمو على جدران البيــوت
والحدائق تتسع للعشاق والكسالى .

وكحلم قديم ، ثمة رجل واحد يقلق ليالي الطويلة ·

ويقاوم شدة الفــراغ ·

قمر وظلال وثمة من يبكي على نفسه

المغدورة بك ، بالآخرين ، والحب !

شتاء ٧٤

الشتاء دافىء هذا العام
لأنــك معي ·
والثلج يشبه الأغطية
لأنك معي ·
والليل ·· آه كم هو قصير هذا الليل ،
لأنني معك ،
ولأنــك معي ،
ولأننا معاً
اقتربت منك واقتربت مني
وابتدأت ساعة الوداع ·
حل المساء وحل الصبــاح
وكان أن يبدأ الذي لاينتهي ·

وبين « بودابست » و « كراسنودار »

كان أن ترقد الذاكرة ·

لا وعد الا ماتحمل الرسائل ·

آن أن يرقـد الحب !

هـن ،

□ □ □

لينـــازوبينكــــا
(الاتحــاد السوفييتي)

- من مواليد ١٩٥٥ تعمل في القفقاس ، مكان ولادتها .
- شعرها وجداني غنائي فلسفي يقترب كثيرا من اجواء ليونيد مارتينوف ورسول حمزاتوف .
- لاتسترسل ولاتحجم ، تاخذ القصيدة على يديها حجمها الطبيعي ، وفــي وداعــة تدخــل الى قلب الانسان بالالفة والحب والتامل .

* * *

الــوطـــــن

وهـكذا سمعتَ ماذا قالْ ،
في الليلةِ الباردةِ الأخيرهْ ،
بأنه لا يشعر الدفءَ هنا
والنـارَ قربــه
والنبيـذَ في يديــهِ
وجمـلَ الكلامِ في أذنيــهِ
وحوله الذينَ منْ يحبْ !
وذات يومٌ قالْ :
بأنــه لا يعشـق الغنـاءْ
والناي من أصحابــهِ
والالحانَ كانت ، دائماً ، صداحهْ

وكتب الشعر على الرفوف !
لقد بكى كالطفل ذات يوم ،

ارتمى على يدي كالصغير
قبلنـــي
وضـــمنـــي

وصرت لا أعرف دفء قبلة كتلك
لقد بكى كثيراً
بكى بحرقة ونام

وذات يوم قال : بأنه لا يعشق الثلج ولا الالحان
وطالما رأيته يلعب كالصغار فوقه

مبتهجـاً
والناي في يديـــه ٠

وذات يوم رحل الغريب
تاركاً رسالة حزينة وراءه
ولم يعـــد ٠
هناك مثل يقول
لا شجر ينمو الا على تربته ٠

* * *

عليكَ أن تكون

في مصيركَ عليَّ أن آخذ مكاناً ،
وفي بيتك أيضاً ،
زائرة أو ساكنة
لا ضير ..
في مصيبتك أو فرحك علي أن أساهم
قريبة أو بعيدة .
وفي قصيدتك عليَّ أن آخذ مكاناً
في رفقة الايقاع أو في رقة المضمون
وفي قلبك عليَّ أن أنبض
مسرة أو ألماً
كيف .. ؟
هي الحياة تشبه الحديقة ،
نقطف منها وردة للعزاء
أو وردة للفرح .
وعليك أن تختار في أن تكون بينهم أو بيننا !
واختر ، اذا رغبت أن تكون حبيباً
أو صديقاً !
ولكن .. لا تبتعد كثيراً ،
لأن حياتي التي مضت والتي ستأتي

ستكون خالية تماماً ٠
وفي فرحي أو مصيبتي عليك أن تساهم
قريبـاً أو بعيـداً !
وفي قصائدي عليك أن تكون دفقة الايقاع أو ٠٠
أو يعقل أن لا ترى نفسك في مضمونها ٠
أريدك أن تبقى في قلبي مسرة بعد أن كنت ألماً
كيـف ٠٠؟
هي الحياة تشبه المقبرة ٠٠؟
لا تزرها ، اذن ، معزياً !
واختر أن تكون بينهم أو بيننا
والحب أفضل من العداوة أحياناً ،
وفي الصدر ينبض قلب آخر
وما من فرحة الا معك ٠
وتذكر ، دائما ، انك قلت بأنك بحاجة اليَّ
أما أنا فلا داعي لأن أتذكر :
انني بحاجةٍ اليكَ ٠

* * *

صداقة

الى آنيا . ش

نحن ، معاً ، لم نعرف المصاعب كأهلنا .
ولم نقتل أحلامنا تضحيةً من أجل الآخرين !
عرفنا أشياء كثيرة : الحب ، الرحلات ، والكتب .
ولم نعرف أشياء كثيرة .
وحلمنا بالأشياء الزاهية ، ولم ننتظر يوماً ، معاً ،
رسائل كتلك التي تأتي فجأة بالمباغت .
ولكن .. عندما غبت أول مرة ، شعرت بالوحشة
وأبرقتُ اليكِ :

تعـــــالي !

وعندما تأخرت طويلا ، « لأن الحياة صارت لذيذة بمشاكلها » !
عرفت كم أنا بحاجة اليكِ يا صديقة .

* * *

بافلينكـا ديمتروفـا
(بلغـاريـا)

- من مواليد ١٩٥٤ تخصصت في التاريخ والآثار .
- تكتب بالروسية ايضا .
- شاركت في مهرجانات شعرية على صعيد الجامعات وكانت من الاسماء الاصيلة البارزة .

□ □ □

أنـت لاقـلب لك

أنـت لا ليـل لك !
جميـل° كصباح « فارنا » على البحر .
ساحر° كالأساطير الشرقية ،
في الصمـت
في الشـعـر
في الكـلام .
عجباً .. أنت لا قلب لك !
واسع° كالسهول التي لا يدركها البصر .
حزين° كالأشجار المقلوعة من غاباتها .
عجباً .. كيف كنت لا أراك
عجبـاً كيف كنت لا أحظـى بشيء .

* * *

مقدمـــة غنائيـــة

- لو رغبت فيّ لاقتربت .
- لكنها المسافـة !
- كيف يطير الطير ، اذن ،
عابراً السهول والبحار نحو البلاد الدافئة
وأنت لا تستطيع !

* * *

انني أســتقبل الصبــاح كالعــادة

عــامٌ ،
عــامان ،
ثلاثـــة ،
ولم يدركنا الغروب ؛
ولم يعرف النهر ارتيادنا .
والنافذة التي تواخي « البيانو » ،
لم تحمل أغانينا الى الشارع ،
وأنت لم تأت .
والسقيفة ذبلـت أزهارها
والصباح لم يدركنا ولا الغروب

عامان .. ثلاثة ولا شيء غير حلاوة الحلم المؤرق ،
والرسائل التي طال انتظارها
كيف تستقبل الحقول النيران ،
تضيء أطراف السهول وتنشر الضوء !
هكذا الكلمات أقبلت ذات يوم ، مشحونة بتدفق الحب .
انني أستقبل الصباح كالعادة
ويمضي يومي كما تعرف
ولكن ببطء .
لو ينقـر الدوري شبـاكي
وتلقي عليّ السلام .

* * *

أغنيـــــة

(مقاطـــع)

القلبُ مفعمٌ بالحب
بلغاريا يا بلدي الرائع .
لم نرغب الرحيل بعيداً
بلغاريا يا بلدي الجميل .
القلب مفعمٌ بالحب

يا وطني يا أيها الجميل ٠

القلب مشدودٌ الى الجبال

الأرض والأطفال

البحر والأغاني

وطني أيها البلد الجميل ٠

لم نكن نخاف على أنفسنا

نحن الذي قدمناها فداك ،

أنت الذي لم تخفض الهامة ٠

القلب مفعم بالحب

وطني أيها البلد الجميل ٠

□ □ □

من سيعترف بأن الورد يلوث الأيدي !

يأخذك التعب بين ظلال الشجر ،

وصوت المياه ٠

يهدهدك الحنين وينقلك الى سكون الحجر ٠

تلجأ للصمت ، وتداعب الرمل والأغصان اليابسة ٠

ألجأ للصمت ولا أداعب الرمل

لأن أصابعي مشغولة بتلمس الجروح ،

في الكلام الذي ينطق الحنين ٠

الطيور تحارب بمنقارها لتعيش

بينما البحر الأسود لا يأبه بي

ولا يلوي على شيء ·

يا للقلب الذي غيرته الذكريات ·

أنت تفتح الورد يحتاج للندى ·
أتعرف ؟ !

أن لا معنى للورد بدون الشم والنظر ، ولكن ، القلب موحش بالورد والندى !

والشفاه موحشة بدون الشفاه

والكلام حنظل* ·

من سيعترف بتلوث يديه بالورد ،

والشفاه بالكلام ·

الموجة تغطي رأسها بالزبد ،
والناس تغطي أحقادها بالتحية ·

من سيعترف أن التحية ليست للاعتذار ؟

أيهـا القـلب ،

ياذا الصامت الوحيد بينـنـا ·

لماذا لا تتكلم الا قليلا ، ويعتب علينا الصمت !

قبل رحيلك حزمت الحقائب

وتركت أوراقك في يدي ·

تجمع البراكين نفسها قبل أن تنفجر

وفي المضيق تنحصر المياه قبل أن تنحدر ·

وبين مد الحياة وجذرها

كان اتحادي بك

ينشىء النقيض كالمعادن ·

ليتني لم أتعرف عليك !

□ □ □

قصائد للشاعرة الإنجليزية إيدث سيتويل

○ ترجمة : د. نذير العظمة

حصــــاد

مهداة الى ستيفن سبندر

انني امرأة قلبها كالشمس
امرأة رأت الكثير وتأملت العديد من الاحزان ،
لكنها ليست تعبة من التألق والانجاز والحصاد ،
أنصتت الى الذين يضرعون من أجل المطر والظلام الكوني
رأت كيف تضحى الأميرات الذهبيات للاله المطر
والغيم الذي أتى وكان صغيراً لحجم كف الانسان .
والآن في زمن السنونو ، المتألق ، المزقزق
النساء الفتيات تنتظر كأم الذرة عودة الضائع ـ
أجفانها الذهبية مسودة كغيوم المطر الضخمة .
لكن طبيعة القدر تبدأ في البرعم والغصن .
ـ والحب مع مخالب الليث وجوع الليث
يختبىء في الأجم في الربيع العدمي
الطاعنون في السن يحسون قلبهم المترب

يقرّع العروق لأن النار لا تملك غير الغضب ،
لكن المسيح قد غفر لكل انسانُ ـ قيصر الذي له جبهة الرعد
وتانتالوس ذو العروق الحجرية الذي يصرخ بالعطش في السهل
حيث الماء البرىء يتدفق فقط في دم الذبيح
يسقط الى الأبد من أعرق حملت ظهيرتها
والرفيق الأحمق للصيف ، الوردة الباكية ٠
سألنا عن علامة ما نسيناها ـ

وعن اجابة الشمس الابراهيمية الملتحية ، أب كل الأشياء
تصرخ من النضج فوق حصادنا الى الأبد ٠
ومع صوت النمو ، بقوة الليث ، والشمس الضاحكة
التي يمتد لهبها العظيم كالأغصان خلال
الحرارة عبر السماوات ، نكاد نرى
الكواكب السيارة الذهبية العظيمة ترصع الفضاء الواسع
والأرض ـ
يا أبناء الانسان يا أحباء السماوات ،
مذهبو السماء يشملوننا بعنايتهم ـ
بحكمة الكواكب السيارة والقوانين التي لا تتغير
تنضج حيواتنا وتحكم القلوب والنبض ،
ويولد أنواع الجوع الخالد في القلب والعروق
من العلة الأولى

التي تجعل قلوب ودم البشرية والبهيمة
في حركـــة دائمـــة ،
الدم الجمر للشجرة الناعمة الباكية
يعلو نحو حرارة الشمس الواهبة الحياة ...
أوليس الدم ـ السماوي ، حرارة الحيوان
التي ليست نارا ـ آتيا من الأشعة المركزية ؟
أولايتجاوز الحيوان كل العناصر في القوة ،
عبر الحرارة وحكمة الدم.
خالقا بهائم أخرى ـ الليث الليث ، والثور الثور
الدب الدب ـ بعضها كالكواكب العظيمة في
العتمة الخشنة غير المكونة ـ أو عوالم غير مصورة
بأعراف من لهب وشمس غاضبة من أجل القلب ؟
الحبل والتجدد والديمومة ـ
ودوائر كل الحيوات على الأرض ـ
على النبات والحيوان والانسان أن يتبع تلك التي في السماء
ايقاعات حيواتنا
هي نضج وموت المواسم
زرعنا وحصادنا في الحقول المقدسة ،
حبنا وولاداتنا ـ وشيخوختنا من بعد
ثم غرقنا في النوم

في الأرض الأم ، أم الذرة ، العتمة المجعدة ٠
وهكذا نحن محكومون بتلك القوانين ونرى تحقيقها
وأنا التي وقفت بثياب القبر نجسدها
المبقع بآلام العالم
أصرخ ، انني النار ، ألا ترى ، أنني الذهب الوهاج
الذي يتألقكالنار الملتهبة في الليل ،
الكوكب الذهبـــي المدرب
الحرارة الضاحكة للشمس المنبثقة من العتمة ـ
عائدة الى العتمة ـ أنا الاخصاب والحصـــاد
ففي كل بلاد طريق
ينمو من حاجات الانسان كما الأغصان من الشجر
يسير الحصادون كحصادي السماء ـ
كوكب المشتري وفلكه العظيم وآلهة الذرة ،
وكوكب زحل تسير على طراز دوريان ٠
سمعنا في السحر النار الأولى الملتحية الناضجة
للحنطة هكذا هو اللهب الذي هو أرواح البشر
التي تبزغ من الأرض الكثيفة) ٠
بعدئذ أتى تدافع اللهب الحصادي ، الاله في الريح
التي تهب على حقول الحنطة
عاد من بين الموتى من أجل يدي قيصر الأثمتين
كوردة الصباح تصيح من الافراح الحمراء

وأحزان أكثر احمرارا تسقط من الأعرق الفتية وينابيع القلب
عاد من أجل المخطىء والمحق ، الحكيم والأحمق ،
الذين كالورد لا يكترثون لفلسفاتنا
عن الحياة والموت ، يعرفون غفران الأرض
والندى الغزير الذي يأتي الى الوردة المريضة :
لهؤلاء الذين يبنون الصباحات العظيمة من أجل العالم
من جنات عدن لضياء ضائع رأوه الواحد في عيني الآخر
وعليهم أن لا يلبسوا قريبا ضوء الشمس
بل أن يهتفوا بكلمات الوداع بين أحزان الصباح ٠
لغـة الخبز العالميـة ـ
(أنت أيها الذي لم يكسر أو يقسم ـ
أنت الذي يؤكل ، ولكنك كالعوسجة الملتهبة
لاتستهلك ـ أنت يا خبز البشر والملائكة) ـ
من مرتبة السيرافيم بمرتبة الحنطة الناضجة ـ
رعود ملتحية من الذهب والكهان
السماويون ،
تزأرون من الأرض : سيدنا المسيح حقا قام
جاء من بين الموتى ليعطي علامة !!

اوريديس

مهداة الى جون لهمان

نيران على الأرض، نيران في السموات، نيران في قلوب البشر!
أنا التي التحمت بالموت بالذهب المتألق في الأرض
أحبيك!كل ثقل الموت في العالم كله لايساوي الحب بعد ـ الحنان
العظيم للغبار المتساقط وكل المخلوقات الأثيمة تسرع
كما أن الشمس في سماء فارغة ٠
انها تتألق كالنار ٠ يا ذهب حرارة الشمس الوهاج
أيها الحب عبر الحقول السوداء ـيحرق بعيداً قشور الموت
الخشنــة
حتى يصير كل شيء لهبا ويؤتى به للحصاد !
انظر اذن ! ها اني أقف في المركز من أرضي
التي هي لماتت موتي ٠ تحت الأوج من شمسي
آتية بكلمة من العتمــة
بأن الموت أيضا يحنو على الطبيعة الساقطة ٠
وكما أن الشمس تدفن أيامها واشعاعها

لتنضج الأرض ، هكذا اشعاعات القلب
تتحول الى الحكمة بالموت ، وعظيم هو غفراننا .
وعندما دلف أونيوس عبر العتمة آتيا بغنائه الذي كالشمس
كالحركات في السماوات التي في عمائنا
هل نحن قادرون على غير المحاكاة ، هل نقوّم حيواننا -
جئت الى قمم القبر ، لم أعلم أن لقاءنا سيكون هكذا : -
هو كالعودة عند المساء
لعامل متعب في الحقول السوداء -
هتاف الترحاب والقبلة المستعادة بالذكرى !
في تأخر الموسم ، أنا بالاقدام الذهبية
التي خطت في حقول الموت ، الآن أسير مرة أخرى
الحقول السوداء حيث ينثر الزرّاع الحب
كالدموع أو كالثريات التي تذرف الدمع من أجل تأخر
الموسم -
حيث تسير النساء كالنواحات ناضجات كالظهيرة
برؤوسهن المحنية ؟
أجفانها الذهبية ، كنفحات النرجس
في الربيع ، هن مبللات بدموعهن ، ينحن على زوجة
شابة مشت هذه الحقول -
شابة الى حد لم يعقد شعرها الذهبي بعد

بعقدة كشوشة الذرة ٠٠٠٠ كم كانت طيبة هي ـ
بصوت كالسنونو الحلو ٠ انها ترقد في اللحد الصامت ،

انهن يسرن في الحقول وحيدين ٠ عندئذ واحد من الموتى
الذين يرقدون تحت الارض ، كصورة منحوتة لأوزوريس
كالماء سوداء كالماء رقيقة ، بوجه أخضر كقمر ـ
كان يرقد في العتمة مع الحنطة
كاللهب تنبثق من قلبه أو كالذهب التبر ـ
قال لي ، لقد كنا عميانا فعرينا الاله من الأشياء
لنرى الضوء الذي يتألق في الظلام ، وتعلمنا
أن النار الذهبية للحنطة يمكن أن تبزغ من القلب العاقر ،
عندما أتيت من مدينة الذرة
التراب الطحين الذي ربي عليَّ قال لي
« لي مجاعة الليث يبتلع كل شيء »
أو اجعلهم ملكي ٠٠٠ فينوس كانت قوية مثلي ـ
ماهي الآن غير حفنة من رماد جمر جاف
وضرسي كسر القشرة ، جدار الجمر الجاف
الذي يحتوي على نار الحنطة ٠ تلك النار ذهبت ـ
وتذكر هذا أن الحب ، أو أنا ، لنا أرضنا
قلبك بين حجارة السنين كالحنطة ،

حالما تركت فم القبر بعيدا كضجيج النحل البري الاسود ،
سمعت الاصوات ترتفع من مساكن البشر وتفكرت
حول أبنيتهم
حروبهم ، صنعهم العسل ، وسقوف الذهب المبنية
ضد الظلمة ،
وقد تعلمت أن طبيعة الذهب تحت الارض
تتحول الى حنطة أو ذهب في العتمة الحلوة .
لماذا ينحن على هؤلاء الذين يرقدون في اللحد الصامت
يذرفن دموعهن كالحب ؟ قلبها قرص الشهد ذاك
ظلمة كثيفة تبتلع كالدب ... ألا ترى أن كل الذهب قد ذهب
خلية قرص الشهد مسدسة الشكل ... لكن هناك في خلايا
الحواس الخمس كل ذهبهم مختزن ... أين هو الآن ؟
ريحُ القبر فقط تستطيع أن تعلم .
لكنني لم أخش ذلك النفس الهادىء المرجف
في التراب ... الحب لا يغيره الموت ،
لا شيء يضيع وكل شيء هو حصاد في النهاية .
كما أن الأرض مثقلة بكوكب الشمس الذي بقوة الليث
عندما يهبط بأيامه الحارة واشعاعاته ،
كذلك نحن مثقلون بالموت ، كامرأة يثقلها الحبل
كما تمسك قشرة الذرة نضجها ، قرص الذهب

مثقل بالصيف ···· كما لو أن قطعة من الذهب
تحولت الى ذرة ،
هكذا تنهض حياتي من الموت ، انني ألقي بعظمة
الموت بعيداً ،

نتجه صوب البيت لأشياء الحب الصغيرة
الى بناء الموقد وعجن الخبز اليومي ،
صيحات الولادة ، وكل ثقل الضوء
يصور أجسادنا والارواح ، تتجه الى الشباب ،
وضجيج الصيف يكبر في العروق ،

وتطعن في العمر ، طهيرة هادئة
واحدا من العناصر خلف الزمان ، أو اقليم جدية ·
أنا مع فتى آخر الذي ولد من العتمة ،
يعود الى العتمة ، أقف على فم القبر
مع من أتى متوهجا كالريح

ليقابلني ـ أورفيوس فم الذهب
أنت ـ كأدونيس ولدت من شجرة اللبان
أنت يا غصن الكرمـة ·

منكسر بريح الحب ···· تلفت لأحييك ـ
وعندما أتلمس فمك ، انه الشمس ·

أغنيــة من أجل صوتين

يا دونيسيوس الشجرة ـ ياذا اللحية ، ياذا النضج
بين أغصان ذراعي وشعري
كأغصان الكرمة شجرة ضمت الدلب
أتيت كالريح خلال الاغصان ..
والى أرض قلبي ، أيتها المرأة الذهبية
أنت الهــة الــذرة ،
أيتها الريح تخللي مرة أخرى أغصانــي ،
يا عتمة الأرض ـ أيها النضج ،

□ □ □

هوامــــش

تانتالوس TANTALUS: هو والد نيوبي « Niobe » و بيلوبس « Peblops » امتحن حلم الالهة ومعرفتهم بان طبخ بيلوبس وقدمها طعاما لهم ، فكان عقابه ان حبس في الماء الى العنقحتى اذا اراد ان يشرب في حال العطش انخفض الماء فلا يستطيع أن يبل ظمــاه وثمار دانيــة حتى اذا جاع تباعدت عنه فلا يستطيع لها قطافا . M. (P. 465)

دوريان (Dorian Mode) في الموسيقى واحد من المقامات الموسيقية اليونانية القديمة

يمتاز بالبساطة والجلال من قياس (Minor) يلائم الانغام الموسيقية والحربية .OX. D.P.239

(Orpheus) موسيقار زوج (Euryoice) التي ماتت من لدغة أفعى بينما كانت هاربة من (Aristaios) ، لقد سحر أورفيوس العالم الاسفل (Hades) بموسيقاه ليسمح بعودة (Eurydke) شريطة أن لا ينظر أورفيوس الى الوراء حتى يبلغ عالم الارض لكنه فعل فاختفت أويديس وبقي وحيدا يمزقه نساء شبقات بجنون اللذة . M. (P. 457)

ادونيس (Adonis) ابن (Myrrha) زانية مع أبيها الذي تعقبها ولكـــن الآلهة المطوفة حولتها الى شجرة لبان ولد منها أدونيس الذي حملته أفروديت في صندوق الى برسفون (Persephone) لان كلتيهما احبتاه فوزع وقته بينهما ولكن خنزيرا بريا يقتله اثناء الصيد وحزنا عليه فتجعل أفروديت شقائق النعمان تنبت من دمه M.P.430

اوزوريس Osoris اله العالم الاسفل في الميثولوجيا المصرية القديمة الذي يحاسب الموتى وهو زوج ايزيس وأخوها . P.i1245

فينوس Venus أفروديت ، الهة الحب والجمال والزواج عند اليونان القدماء ابنـــة زوس وديون . انظر « أدونيس » فوق .

دونيسيوس (Dionysus) اله الكرمة والخصب عند اليونان ابن زوس وسيملي ولد من فخذفخذ أوس ونشا كفتاة عند (Athamas) و (Ion) وتعهدته بعدئذ عرائس الطبيعـــة (Nymphs) ، يكتشف الخمرة وتبتليه هيرا بالجنـــون يتجـــول في مصـــــر وسوريا يشفيـــه (Rhea) ويتلقن اصـــول السلوك والترسـيم لمذهبـــه يطـــــرده (Lycurgus) فيتسبب بموته ينشر مذهب الخمر في تراقيا (Thrace) والهند يبتلى نساء ثيبا بالجنون ، يرتفع الى مصاف الآلهة بعد مشاق كثيرة ، ينهض (Semele) من بين الموتى ويصعدان معا الى السماء . P. 441.

الخيّام شاعراً

○ ترجمة : د. محمد علوي مقدم

تميزت رباعيات الخيام بالايجاز وبيان المطلوب في كلمات قليلة ، والواقع انّ أقوال الخيّام تتسم بالبساطة والاحكام ودقة التعبير وأوضح الخيام أفكار الفلسفة في تلك الرباعيات بأسلوب منطقي أختص به .

وقد بلغ الخيّام بالرباعية درجة عالية من السموّ والارتفاع وأبان فيها أفكاره في منتهى المهارة والاستاذية مما يصيب الانسان بالتحير والعجب من مقدرته في صبّ عقائده الفلسفية المهمة في القالب الرباعي . وأنشد من الرباعيّات ما تعبر كل واحدة منها عن فكرة فلسفية مستقلة وكانت مقدرته في التعبير على درجة كبيرة من الاحكام ذات تأثير حتمي في القارىء ومما يزيد في حيرة الانسان وانبهاره كيف استطاع الخيّام أن يعبر عن عقائده الفلسفية المهمة في رباعية وكيف استطاع أن يقرض الرباعيات التي تتضمن كل واحدة منها فكرا وفلسفة مستقلة عن الأخرى ومنسجمة يتمم بعضها بعضاً من ناحية أخرى .

وقد أحدثت فلسفة الخيام وما سلكه من أسلوب في الرباعيات

تأثيرات كبيرة في الادب الفارسي ، فقد مهد مجالا فكرياً خصبا لمن أتوا بعده من الشعراء وبصرهم بفناء الدنيا وزوالها وضرورة اغتنام العمر لحظة بلحظة · وحب الشراب ، ولذا أنشد الشعراء في هذا المجال أشعارا · منها قول سعدي الشيرازي :

أيها السعدي فقد مضى الامس
والغد أيضا غير موجود
فلتغتنم فرصتك اليوم
كل فرصة طيبة تلوح لك
بين أمسك وغدك

وكما يقول حافظ الشيرازي فلتغتنم

فان أحدا لا يعلم نهاية الامر على أي نحو يكون ·

ولكن الشعراء الآخرين الذين أتوا بعد الخيام لم يكونوا ينعمون بما كان ينعم به الخيام من نضج فكري وجرأة وغلفوا كثيرا من أفكار الخيام في ثوب من التشبيهات والكنايات ولم يتمكنوا من ابراز أفكاره بصراحة ووضوح ، بل عمدوا الى نضح أفكاره في ثوب من التعبيرات الصوفية وهنا نجد انفصاما بينهم وبين فكر الخيام ، ذلك ، لأن الخيام لم يكن بحاجة الى استخدام الرمز والاشارة ، بل كان يعبر عن أفكاره عارية وفي غاية الوضوح والصفاء والصراح ، ذلك أن حافظ الشيرازي مثلا حين يتحدث عن الشراب على الرغم من أنه يعبر عن فكره تجاه ذلك في صراحة ووضوح وان المقصود بالشراب هو عصير العنب المعتق الا انه في أماكن كثيرة يغلفها في ثوب من الكنايات والاستعارات الصوفية كما يقول :

ان هذه الصورة والنقوش التي تتلألأ في هذا الكأس ·
انما هي انعكاس لوجه الساقي الوضاء ·

أو في هذا الشعر الذي أنشده حافظ ، كذلك :

يا من لا تدرك لذة مداومة شرب المدام
فلتعلم اننا نرى وجه الحبيب في كأس الشراب ·

في حين ان مفهوم الخيام للخمر لا يتعدى ذلك الشراب الأحمر (النبيذ) ويعتبر أن الشراب مجلي اللذات والافراح ويعتبره ترياق الغم ومزيل الآلام ومفرح الكروب للانسان العاقل · والحياة عنده ليس سوى المرح والسرور والبهجة ·

وكان حافظ يأخذ جانب الحيطة والحذر ويشير الى الجنة كثيرا فيقول :

ان جنة الفردوس في غاية الروعة والبهاء ولكن انتبه
ولتغتنم ظلال الصفصاف وتلك المروج ·

في حين أن الخيام لم يكن يعتقد اطلاقا بالنبوة والمعاد ولم يكن مؤمنا بالله ورسله ويعتبر أن البشر أصغر من أن يقفوا بين يدي الله احياءا مرة أخرى وأن يحاسبوا على ما قدموا من خير الاعمال وسيئها (= من صالح الاعمال وطالحها) ولم يكن يعتقد بالأمل في رحمة الله أو الخوف من عذابه ، فكان دينه التحرر من الكفر والعقيدة وكان يعتبر الجحيم ومضات من ألم بلا ثمر والفردوس لحظة من الراحة والاستمتاع ، فكان يردد القول : ان الزهرة التي ذبلت لا تتفتح من جديد ·

ولم يكن الخيام يعتقد في ما أعتقده معاصروه من عقائد دينية بل كان يطرح ظهريا جميع أقوال الفقهاء ورجال الدين وكان يوجه الطعنات في رباعياته الى المسائل الدينية ويشن العديد من حملات التحقير والاستهزاء على العلماء والفقهاء ولم يخضع لما اتبعه فقهاء زمانه من أحكام فقهية تعبدية ٠ وصراع الخيام مع أفكار علماء الدين واضح جلي في جميع رباعياته وكان يتناول أمور ما بعد الموت باحتقار واستهزاء ويتناولها بطريق النقل والرواية عن الآخرين استهزاءً ٠ فيردد القول :

يقولون هناك ستكون الجنة والحور العين ٠٠٠

يقولون لي ستنعم بالجنة والحور ٠٠٠

يقولون لي : وستكون هناك نار حامية للعصاة ٠٠٠

وكان الخيام يعتبر وجود الانسان وعدمه لا أهمية له كوجود وفناء ذبابة أو بعوضة ، وهكذا فانه اذا كانت الحشرات لا تحاسب على أعمالها فان الخيام يعتقد أن الجنس البشري أمام قدرة الخالق وعظمته لا يزيد عن تلك الحشرة الضعيفة التي لا تنتظر الحساب والجزاء ٠

ومن الجائز أن يكون هذا الانكار سببا الى القول عن أشعار الخيام ، أن باطن تلك الاشعار تحوي سُمّاً ناقعا وضلالا كثيرا للشريعة » ٠

ويعتبر الخيام أن جميع الاديان من صنع البشر ولم يحفل بالكعبة

والكنيسة والمسبحة والزنا وبيت الاصنام والمسجد ، فكان ينظر اليهـا جميعا نظرة سواء واعتبرها جميعا من نتاج الفكـر البشري واعتبر أن الجنة والنار في ضمير الانسان وتكوينه ٠

فيقول :

ان النار شرر لآلام لا طائل من ورائها
والجنة لحظة من لحظات استمتاعنا ٠٠٠
أيها القلب (أيها الانسان) ان أحدا لم ير الخلد والجحيم
فلتخبرني أيها القلب عن شخص قـد عاد من الدار الآخرة ٠

وكـان يعتقد أن الدنيـا ، مرتع ملعب عجيب والبشر دمى تتحرك والفلك ارجوحة ولا يعتقد بالنشور ويقول :

لا عودة لك فاذا مضيت فلا عودة لك
وكل زهرة ذبلت لا تتفتح من جديد ٠٠٠

ومفهوم الخيام للخمر هو ذلك الشراب الاحمر الارجواني وقد أفاض في مدحـه والثنـاء عليـه وأورد للشـراب ومنافعـه ، فصلا في كتـابـه « نوروزنامه » واعتبر الخمر ملك المشروبات ٠ فيقول : ليس هناك شيء أكثر نفعا للبدن من شرب الخمر وبخاصة خمر العنب المر المذاق والمصفى ومن خاصيته انه يزيل الغم ويفرح القلب ٠

فلتحتس الشراب ، فان الغم يلازمك طول عمرك
فمن الافضل أن تمضيه نائما أو ثملا ٠

وكتب فصـلا آخـرا في كتاب « نوروزنامـه » عنوانـه : في منفعـة

الشراب • وللخيام مجموعة مـن الرباعيات توحي الحيرة والدهشة لما أعلنه فيها من أفكار الحادية بصراحة ووضوح •

يقولون ستكون هناك في الآخرة ، الجنة والحور العين
حيث أنهار من خمر ولبن وعسل مصفى
فلو اخترنا في هذه الدنيا الخمر والمعشوق فأي خوف
اذا كانت هذه هي النهاية في العاقبة •

ويقول الخيام :

يقولون هناك الجنة والحور والكوثر
وهناك أنهار من الخمر واللبن والشهد والسكر
فلتملأ القدح بالشراب وناولينه
فما هو موجود خير من ألف يرتجى •
فلتشرب حتى يفرغ القلب مما يقال عن القلة والكثرة •
ويفرغ الفكر من أفكار الاثنتين والسبعين فرقة
فلا تتعفف عن الكيمياء التي تشفي جرعة واحدة منهـا من ألف علة

ويقول أيضا :

ان كأسا واحدا من الشراب يعادل مائة قلب و ••••
وجرعة واحدة تعادل مملكة الصين
فليس هناك على وجه البسيطة سوى الخمر الحمراء شيء

مر المذاق يعادل الف شيء حلو المذاق
وقد جئنا الى الوجود على الرغم منـا
ولم نزدد من حياتنا سوى الحيرة
لقد مضينا مكرهين ولا نعلم ماذا كان
المقصود من مجيئنا ووجودنا وذهابنا

ولكن ما تميز به الخيام بين الشعراء ، من مناعة وعزة نفس واحساس بالذات واستغناء أمر جدير بالتقدير والاهتمام وان الخيام قد امتنع عن قبول المناصب كما يمكن استنباط ما كان عليه من عزة نفس ومنعة ، من تلك الاشعار العربية كذلك :

اذا رضيت نفسي بميسور بلغة
يحصلها بالكد كفي وساعدي
أمنت تصاريف الحوادث كلها
فكن يا زماني موعدي أو مواعدي

كما يستفاد من هذا المعنى بوضوح وجلاء من بعض الرباعيات المنسوبة للخيام :

ان كل من يجد خبزا ويقنع بمسكن ويحيى سليما معافى لاخادما لشخص ولامخدوما من آخرين، فلتقل له لتعش سعيدا فسعادة الدنيا طوع بنانك .

ولم يكن الخيام تابعا لأي مذهب أو معتقدا فيه ، بلّ كان يعتبر

تلك المذاهب كغبار يغطي جوهر الانسان وذاته ويعتبران كل هذه الملل يروالنحل والمسالك والمذاهب ، انما هي وليدة لفكر الانسان وخياله القاصر العاجز :

ان قوما قد أصابهم الغرور جهالة

وقوما قد غرتهم الاماني والحور والقصور

فحين ترفع الحجب فيجارون أنفسهم

لبعيدين تمام البعد عن ذاتك ·

وقد اعترض الصوفية على الخيام واعتبروه دهريا ·

ويلاحظ بين أشعار الخيام تشابه مع أشعار أبي العلاء المعري وليس هذا المطلب بعجيب ، لان الخيام كان على دراية تامة بالعربية كما كان يقرض شعرا بالعربية كذلك وكتب بها كتبا · فمثلا حين يتحدث عن الكأس والابريق وان طينها الذي صنعتا منه ، كان فيما مضى جزءا من بدن انسان ويصير جدا مرة أخرى ولهذا يجب المحافظة عليه · يقول الخيام :

خذ الكأس والابريق المنعش

ولتجلس خالي البال على المروج وشاطىء النهر

فكثير من الاشخاص الاعزاء قد أحال الفلك الغدار أجسادهم الى

كؤوس وأباريق مئـات المرات ٠

ويقـول المعـري :

لعـل انـاءا منـه يصنـع مـرة

فيأكل منـه مـن أراد ويشـرب

ويطلب الخيام من الانسان أن يمشي معتدلا متواضعا على التراب ، لان هذا التراب كان يوما ما انسانا أو عينا ساحرة جذابة ٠ فيقول :

ان كل نبتة قد نبتت على شاطىء النهر

كأنها قد نبتت من شفة انسان ملائكي الخصال والصفات ٠

فلا تمش متكبرا على هذه النبتة الخضراء

فان تلك النبتة قد نبتت من تراب فتاة حسناء وردية الخدود ٠

ويقـول أبو العلاء المعري :

خفـف الوطـأ مـا أظـن أديـم

الارض الا مـن هـذه الاجسـاد

وقبيـح بنـا وان قـدم العهـد

هـوان الآبـاء والأجداد

سران استطعت في الهواء رويدا

لا اختيـالا على رفات العباد

رب لحـد قد صـار لحدا مرارا

ضاحكا مـن تزاحم الاضـداد

وتتشابه أفكار الخيام مع أفكار أبي العلاء في كثير من النقاط فأبي العلاء مثلا يتحدث عن خلق الانسان وطبيعته وكيف أنـه يتكـون مـن عناصر أربعة تتأثر بالكواكب السبعة كما يعتقد العامة مـن الناس ۰ فيقـول :

جـد مـن أربـع تلحظهـا
سبعـة راتبة في اثنـي عشر

ويقـول الخيام في هذا الموضع :

يا مـن أنـت نتيجـة لاربعـة وسبعـة
ويا من أنت قلق حائر من السبعة والاربعة
فلتشرب الخمر فقد قلت لك أكثر من ألف مرة
ان لا عـودة فحـين تمضـي لا تعـود

ويشير أبو العلاء في أشعاره الى شخص يدعى « محمود » كان ينعم بقدرة واقتدار عجيب (من الجائز انه كان واحدا من أمراء المعرة)فيقول:

أسـر ان كنـت محمـودا علـى خلـق
ولا أسـر بابـن الملـك محمـود

وقد قلده الخيام كذلك وذكر اسم محمود (هو بلا شك : السلطـان محمـود الغزنوي) فيقـول :

فلتجلس مجلس الشراب فهذا هو ملك محمود
ولتستمع الى الصنج فهذا لحن داود

وضمن الخيام أشعاره كثيرا ، من المعاني التي رددها أبو العلاء من قبل مثلا يقول أبو العلاء :

اتترك ههنا الصهباء نقدا
لما وعدوك من لبن وخمر
حياة ثم موت ثم حشر
حديث خرافة يا أم عمرو

ويقول أيضا :

لو جاء من أهل الردى مخبر
سألت عن قوم وأرخت
هل فاز بالجنة عمالها
وهل ثوى في النار نونجت*

فهذا المعنى قد ردده الخيام حيث قال :

يا أيها الخيام من قال أن هناك نار ؟
ومن ذهب الى النار ومن عاد من الجنة ؟
ان أحدا لم ير الخلد والنعيم ، أيها القلب
ويا قلب ! أخبرني من عاد من الدار الاخرة ؟

---

* كان نونجت الاهوازي وزيرا للمنصور الخليفة العباسي وقد اتهم النونجتي بالزندقة

مختارات من شعر: كمال ابراهيم

بابل والبقرة والموت

○ ترجمة: سعد صائب

(ولد « كمال ابراهيم » في اللاذقية عام ١٩٤٢ وأتم دراسته الثانوية والعليا في المعاهد الفرنسية ببيروت ... نشر وهو في التاسعة عشرة من عمره أولى قصائده بالفرنسية في مجلات لبنانية ... نال في باريس شهادة استاذ في الفلسفة ..)

إبدأ القصيدة كيما تمسي الارض أرضاً على نحو كاف ، واللذة أوفر لذة ، والجنون وحده سلوكاً في تحليل المشهد الطبيعي ، ولا تكن الأنملة ، فماً مستقلا عن العيون ، وحذار أن تبذر سوى العشب في لحظة الصخور ...

لن أفرغ البتة من كتابة بابل التي لم تكن قصيدة فحسب ، بل أرضاً ، وأرضاً لا تفتقر :

الشمس مخدوشة مما تقوى البقرة على قوله لي عن الجسد ...

كمال ابراهيم

بابـــل

إن الارض لاكثر ما تكون مستقبلاً
من ان ابدا بتذكري فناءها .

في البـــدء

طعِمـَت بابـلُ قَمحَ الكواكب
كيما تتلو عليَّ الألوان
فاحتفظت من حياتهـا
بدم الجرح الضيّق ...
وفتحتُ في كل سماء
الزمن والأعداد
ونسيتُ في كل أرض
أن أنوّه باسمها
وعرضتُ في أقاصي ربوتي
الأعين والسيقان
هو ذا الجسد المسفوك قد وافى
من دم واهاب
فأكل بالحليب
لحم الميّتة

أيـــاً كـــان الأمـــر
حسبـــه ورقـــة َجمـــال
فـــوق عشـــب المحيـّـــا
كيمـــا يحـــاور هـــذا الجســـد

ســاعــة بابـــل

الحشـــيـــش (١) َجـــمّ
الجنـــون وافـــر
بيـــد أن المـــوت عنقـــود وحيـــد
مـــن شـــقـــاء غـايـــة في الصـِـغـَـر

تمهيـــــــــد

رغـــب ُأنـــاس في الارضـــ
حرصـــوا عـــلى الكلمـــة
فضّـــلـــوا المأثـــرة
تحـــدّث آخـــرون في الكلمـــة
ناشـــرين المأثـــرة في الأرضـــ
أيتهـــا الأرضـــ
الا ان المـــدى لنـــاء في العـــراء

(١) حشيشة الكيف

وان النـاس لـم يضيئـوا بَعـد
لأن السـمـك (٢) يلتقـط
بـدوره بالمطّـاط
ويصـدأ المـوت فـوق عُمـر العضـو
لأن بابـل تتذكّـر : حياتها
والنـاس النـاس
لم يضيئـوا بعـد ...
وان دليـل السياحـة (٢) في اليـد :
وقـد بُتِـرَت هـذا المسـاء
كـل سيقـان المـوت
بيـد أنـه مـا مـن مدفـأة
في أيـّة سمـاء
ولا سـلام في أيّ ثَـدي

شـراع

منـذ زمـن
تحـكي بابـلُ لـي بجدرانهـا

(٢) في الاصل (Vieilles) وهو الاسم العامي لسمك بحري طوله نحو ٦٠ سم يعيش قرب الشواطىء الصخرية وهو مزين بالوان شوكية .

(٢) في الاصل (Baedeker) ويعني الشاعر هنا « كارل بيدكر » وهو بائع كتب الماني ولد في « ايسن Essen (١٨٠١ – ١٨٥٩) وناشر كتب ادلة سياحية.

تغيـب عنـي بابـلُ
تفجـّرني بابـلُ بجمـع مـن ُخلـد (٤)
تعتـذر لـي بابـل في نهايـة المطـاف
سأمسـي أشـدّ موتـاً
مـن البحـر المنتشـر

أيـاً كـان الأمـر

(من تراه يراني مصدقا ان هذا انا)

تتجـوّف بئـر
تتـذوّق بوصلتـي في جنـوب رمـل
دمـاً ، أنـّجـر
مـع المـرأة المسـلّيـة حيـاة سـاذجـة
في الغـَرَق
ُتمسـي الأجنـاس (٥) الفانيـة
ذات أعـين كئيبـة
وتسـتيـقظ الكـوابيـس (٦)
مـن كـرَزَات ُمفعمـة بالنـدم

---

(٤) في الاصل Taupes ُخلد اوروبي ياكل الحشرات
(٥) Sexes
(٦) Eauchemass

المطلق وحيد مثقوب

رحـــلـة

توشك الحَجَـرة على الوقــوف
فــوق الأرض
ينســاب بعض دم من ظبيـــة
لا وجــود لهـــا
في منــأى
لا تســتقبل المــوانئ (٧)
ســوى السفن التي لهـا شـواطئ على الساحل .

بابــل بابــل

يالــذّة ستولد اثـر مـوت جسـد
بـين الطـير والفَنَـن
رويــتُ للأوذيسـة فنــاءهــا
أنا متقـدّم من جسـد بيـد أنــه من حجَرة حقّـاً

(٧) في الاصل (Wherfs) وهي كلمة انكليزية تعني موانئ لشحن البضائع وتفريغها.

فتحدَّثتُ ثانيــة عــن اللحــم
ملوَّثاً بالمنّــي والــدم
يممتُ وجهــي شَطرَ المـدن
بعــد قــرنٍ مــن أوهــام
حرّكتُ المــاء
سحقتُ الحشــرة
بســطتُ الغــروب
لقــد كانــت هي أنا عبَرَ اناي
كحيــاة خَلَت من زوايــا ومــوت
خَلَت مــن أرض

الآتــي

جنــين الظِــلّ

بطــون تغفــو فــوق ثلــوج أيــار
مُناجـاة نَفس مطبوعـة علــى مليارات النُسَخ
اياكَ أن تصدِّق أن للمــدن
شــوارع في رمــال الطريــق
(ان مثــار همكَ أن تنضـح
كمــا نَضَحَ أجـدادك)

يا للجنين ! يا للجنين !

أهتف للناس هذا المساء ، حنانيك (أوه ! اني عليم بأنه لما يأت) • حنانيكَ ، قُلْ له اني عرفتُ بابل قبل موتي، قُلْ له كذلك انِ الانسانية تحلم بأسمى من جرائمها (أوه ! ان عينه على المائدة هي لحمي الذي أتى) قل له قُلْ له بخاصّة ،ان الشعوب تهلك في التماثل والكهوف ، وتتعذّب حيناً في الفيافي ، الفيافي التي تمتنع عن الماء ، في السجون ، في السجون ، في الاقبية ، في الانفاق ، في الليل الوحيد الذي يذرف دموعاً من دم وارهاب •

قُلْ له عن الرئات الثلاث
التي تتنفّسني معاً

مجزرة

الشرق يتكلّم :
أتمنّى الموت
أتمنّى الأرض
أتمنّى الدم

لقد ولدتُ يوم مولد ابنتي
وبِعتُ أخواتي للجبابرة
للكَروايتّين

وجعلتُ من أمّي انتحاراً أبيض
الشـرق يتكلّم
أتمنّـى المـوت
أتمنّـى الارض
أتمنّـى الـدم

لكأني السنونو يساورني الخوف
على الموسيقا العذبة
ينبئني أنبوب الحياة
ببلّور مضيء

أشرع الساعة في الكشف
عن خبيئة الحَجَرة كلّها
أحتجز الماء
أحصي الضياء

حذار أن تفتح هذا السِفر
(فالمعلّقة ملابس داخلية
ترقص فوق أرصفة العالم)
هنا يشوهوّن الكلمات
يفقؤون الأعين

بورقة ذات ابتسامة

وعلى منأى ليس ببعيد
ضاعت الأوذيسة في تخوم
يقطفون فيها الشجر لفضاء
الزهر

كيما يحتفظوا بالأرض
- في غابات أوغاريت
عيناي ثلجيتان لابن آوى
اللوزة الوحيدة لم تفرغ بعد
من التهام كينونتها
هنا

تفسّر الأمثال
بمظهر الصينيّين

يرقص بهق الحجر(٨) فوق صفحة اليمّ
ويتلاقى فوق الموج
تتسلق النيلوفرات(٩) السماء
القمر عليل بسبب
العشبة

---

(٨) Lichens نبات يعلو الصخور .
(٩) Nymphéas نبات ذو فلقتين

تقتلع الهوّة للعنزة فوق المروج الخُضر
شاة طفولتها

تُبنى الأرض كلها على سجود الأعضاء
امّا مَثلَت في خاطر بابل فكرة الموت
لدن كل ورقة من حياتها .
هنا

أنكر العشبة
ما دام العالم لم يأت
اللحم أبيض

بيد أن طبقة اللصوص تتكاثر على نحو مذهل
من الارهاب المسلوخ لانتحالات
بطن

تنشد انسانية مركزَ النار
جبين الماء هو خبرة ثلج
تنشد انسانية الروحَ
تعي الكائنَ

اغنيـــــة

يتفتّت الذهبُ ويساط الحليب
يتجوّف زَبَدُ الدماغ

ويأخذه العجب

زرقة السماء مسيّجة

أيّاً كان الأمر فان حرف علة الوجود
يؤوب اليّ (لكم تأتأتُ !)
تُفعَم الحقائب بفواصل ،

بنقط فواصل ، وتفرغ الخزائن
تتحرّك ، تتسكّع الارائك
فوق مآتم العالم ...

بَيْدَ أن ذلك لا وجه له
واني لأبسط جناحيّ
وأجعل مني مسنّناً يفسد
خيوط الفَجر

أنا حرف الألف
أستشعر حرف الباء

أتخلّع لون الدم
واليوم ، أرعى الأخضر
يا للعزيف (١٩) !

---

(١٠) Plouf صوت الرياح والرمال .

انــي أُعتـِق البيـداء
الجـو قـارس منـذ أن
أوقــدتُ المصبـاح
أضحـى شيئـاً لا قِبـَل لي بتحمله

يا للعزيـف

تدلـغ الحيوانات البريّـة في الليـل
(لمعان وحيـد مـن مـوت لمـوت)
امّـا تجـوز الرِعشَـةُ اللـذةَ

ترهف أذناي سمعهما الي ّ هذا المسـاء
بَيـدَ أني ما عرفـتُ كتابـة « الآخرين » أبدا
سـروال أمـي فكـرة مضحكـة
ما حملتـه أختـي قـطّ
فأضحـت صـمّـاء
منـذ هـذا اليـوم

منـذ هـذا اليـوم ، تصعـد
التسابيـح مـن كـل مكـان :
أخطـو خُطـاي
أفـوه بكلماتـي
أمتـدّ أمتـد نحـو أنـاي

أنا نَـدَم الركبــة
العــزلاء ...
،
- هذا الطـير جديـر بالسماء
لأنـه أبصـر عوالمـي مختزلـة
في نقطـــة

- ارتدى هذا المهرّج دعابـة
فـلم يعـد يرسـل ضحكـات

- عذبـة هـذه المـرأة
كشـيء لطفـل
يستعيرني الليـل
فأتأمّـل فاهـاً
عَـرَقَ الجســد
أرحــلُ حقّاً

أطمـر اليـوم المدافـن
تناسـت بابــل
موتـى هـم أضلـع (١١) نادرة
في الشـوارع الممكنــة
أفكـاراً مذعنــة

---

(١١) Eotelettes

أدراجاً تـُفضي الى سنتيمترين
مـن سـمـاء

أوه ، يا للشعوب ! يا للشعوب !
جدران ندمانـة عـلـى حبـّهـا
ركنـاً من عـالم

أعضـاء مبتــورة تــذري
عـَـرَق ذاكــرة

يا للأعضـاء ! يا للأعضـاء !

حينـاً واهنـة تحـوي مـادة
وآونــة مظللــة غيــاب
فــوق الاسفنجة المنتفخــة
من ـُتـراه لايعـي شيئـاً عـن المـاء

يا للشـعـوب !

ما أتــى الزمـان ـَقـطّ

في هذه الساعـة من عالـم
ـُيلقي الدمـاغ الداخـلي ريشـته
شـاكـراً الطـيـر
ـُتجلسـني الارائـكَ مرتاحـاً

حيناً فألزم بنشداني
العفو منها
فلتتحاور البغايا اليوم
مع محلّى (١٢) الموت
وليرقم الزبائن من
١ الى ٤٧ على أرصفة الليل
وليُبعِد الأطفالُ تفاحة
الأسى

أنا أدرى أنا أدرى بالأجِنّة (١٣)
التي أمثُلُ في خاطرها
حسبي أني لن أذود عن نفسي
وأني لن أنبس بكلمة أو ألوذ بصمتي
أوه !

□ □ □

(١٢) (Pastille) قرص ذو حلاوة وعطر مستدير عادة .
(١٣) (Fioetus) جمع جنين .

حوار

مع موريس روش

○ مهاة فرح الخوري

« أنا فرنسي »

قال موريس روش الكاتب الفرنسي الطليعي الذي زار القطر العربي السوري في بحر شهر أيار المنقضي ٠

ولد الاديب روش في باريس عام ١٩٢٥ ، لكن جدته شيلية وأمه من أصل اسباني ٠

ليس كاتبا فحسب بل موسيقيا أيضا ٠ طفولته ، بيئته ، الجو الفني الذي ترعرع فيه ساعدت على تفتح عبقريته الموسيقية ٠ منذ سن الشباب ، ألف مقطوعات موسيقية حديثة متتابعة ٠ أذكر على سبيل المثال لا الحصر ، « الغطاس » (عام ١٩٤٨ وهي مقطوعة مستوحاة من نص لـ « هنري بيشيت » عزفها وغناها « جيرار فيليب » و « ماريا كازاريس » ٠

كان أول مؤلف له في هذا المضمار ، كتاب قيم عن العالم الموسيقي « مونتيفردي » نشرته دار نشر « سوي » عام ١٩٦٠ ·

موريس روش روائي ، من نوعية غير مألوفة ، بل فريدة ، من حلقة « انتونان آ رتو » كما أنه ارتبط بحلقة ، وبمجموعة « تيل كيل » هذه الاخيرة منبثقة عن دار نشر « سوي » ·

ألّف عددا من الروايات أهمها : « كومبالت » (متراصة) ١٩٦٥ « سيركوس » (السيرك ١٩٧٢)، « كوديكس » (١٩٧٤)، « أوبرا بوف » (١٩٧٥)، « ميموار » (يريد بها مذكرات وذاكرة ـ ١٩٧٦) « مالادي ـ ميلودي » (أمراض وألحان) ١٩٨٠ ·

بدأ موريس روش حياته صحفيا ، رغما عنه ، مراسلا لمجلة « باري ماتش » و « رادار »، كما أسس « وكالة الصحافة الباريسية » لم يكن يحب هذه المهنة ، لكنه مارسها رغبة في كسب لقمة العيش (كما قال)·

عن كيفية تحوله من العمل الصحفي الى الكتابة الأدبية قال :

« كنت أكتب وأكتب · كان الفضل في نشر أول كتاب لصديق · لو لم يحمله الى دار النشر « سوي » لكان مزّق وألقي في سلّة المهملات · تأليف كتاب ، ارادة ، أما نشره فصدفة · أما اليوم ، فأرى الناشر يأخذ كتبي لأنها لاقت نجاحا · علماً أن كل كتاب يختلف اختلافا كلياً عن الآخر · »

يرى « روش » أن الكاتب قبطان سفينة ، يوصلها الى شاطىء الأمان اذا كان موهوباً، أو يغرقها في عرض البحار اذا كان غير ذلك . ويرى أن الكاتب لعب في الماضي ، خاصة في القرن التاسع عشر ، دوراً فعالا ، له بالغ الأهمية في تحويل المجتمع ، في تغيير القارىء . وفي عصرنا هذا يمكنه بواسطة كتاباته أن يرسم خطة لما سيحدث ، رغم أن تأثير الكاتب صار أضعف بكثير مما كان عليه في الماضي . ذلك أن كل عصر كان يتميز بكتّابه ، بشعرائه بأدبائه بفنانيه ، بينما نشاهد اليوم مزجاً بين الأدب وبين أعمال المكتبات . وعلى سبيل المثال ، ذكر روش كتاب الرئيس فاليري جيسكار ديستان . هذا الكتاب اذ يتضمن بحثاً عن الديموقراطية الفرنسية أو عن خطة سياسية ما ، يلاقي رواجاً أكثر من أي أثر أدبي صرف .

ثم يظهر روش أسفه على دور الاديب الذي يقلّ شأنه يوماً اثر يوم في عصر كهذا تطغى عليه السينما والتلفاز . فيما أن الكتاب غالي الثمن نسبياً ، يفضل المرء مشاهدة فيلمين سينمائيين مثلا عن قراءة كتاب .

التلفاز برأيه هو الحماقة والغباوة . انه والراديو والصحافة اتصالات مشوهة بالجماهير بينما الاتصالات الصحيحة هي اللوحة ، الكتاب والموسيقى .

بهذا الصدد ، يبدي « روش » قلقه على مصير الكتّاب الشباب خاصة ، فبعضهم موهوب جداً ومع ذلك شطّب عليهم بسبب ظواهر المدنية الحديثة • أحيانا يوقع « روش » اللوم على الكاتب نفسه ، يلحّ على العناية باللغة ، ويعتقد أنه فيما اذا أهملت ، يغدو مصير الثقافة الهلاك والتصفية •

يتساءل روش عما إذا كان الكاتب آخر المتصوفة ويقول:
« الكتاب قطعة فنية ، على الكاتب أن يجد الشكل الأقرب الى المضمون » •

« لا أفتش عن الصعوبات لأجعل كتابتي صعبة • لي أسلوب خاص في الكتابة • يقال عني « أحيانا ، انني مسيء وخلاعي • »
أردت أن أعرف نظرة روش الى الأدب ، فقال :

« بالنسبةلي الأدب مهنة لها خصائصها ، تختلف عن غيرها من المهن ، لأنها محببة الى قلب صاحبها • فأغلبية الناس يتهيأون لمهن لا يحبونها ، فيستعيضون عن هذا الحب بهواية جمع الطوابع ، أو ممارسة عدد من الحرف اليدوية » •

« غالبا ما يبدأ الكاتب عمله حين يكون يافعا ، لأنه يرغب في الكتابة ، رغبة نابعة عن النفس • ثم لا يلبث أن يستوحي من العالم الخارجي ، من المجتمع ، من الحروب ، من الآلام ••• حينئذ يتوق الى أن يُسمع ، أن يُقرأ » ويضيف قائلا :

« عملية الكتابة نوع من الشمولية ٠ يؤدي الكاتب مهمة بالمعنى الحرفي الفني لهذه الكلمة ٠

« كما أنه ينصرف الى اكتشاف شيء ، الى التحري عن شيء لم يكن معلوما ، عن ابداع ما ٠

« ثمة حـلم قد يصبح حقيقة ٠

« يحلم الكاتب بكتاب قبل أن يخطه ، ولعل الفترة هذه ، فترة الحلم ، هي أكثر الاوقات نعومة وطلاوة ، وأكثرها رهبة بالوقت نفسه ٠

« أكثرها نعومة لأنه ينفرد في وحدة مع ما يتخيل ، مع هذا الوهم ، كما لو أصيب بغرام صاعق ، فاذا به مع فتاة أحلامه ، انه اللقاء ٠

« أكثر الفترات رهبة تبدأ منذ تلك اللحظة التي يتكون فيها مفهوم الكتاب ، ينطلق الكاتب في الكتابة ، واذا به بمواجهة الصعوبات كلها ٠

يقول روش : « أعني بذلك عملية انشاء المؤلَّف ٠ هذا جهد كبير ، جهد بالقدر الذي يجب أن يكون المؤلَّف اياه مكتوبا بشكل لا يوحي الشعور بهذا الجهد ٠ انها عملية صعبة ،لكنها بديهية وضرورية ٠

« الرواية عمل أدبي،ضرورة لا يفرضها المؤلف٠انها تستجيب لطلب لرغبة عميقة لدى الآخرين ، لدى القراء ، في الرغبة ثمة خوف بالوقت نفسه ٠ ما أن لبّى عملٌ فني رغبة ما ، حتى اعترضه رفض ٠ شيء ما يعارض هذه الرغبة ٠

يوضح الكاتب روش وجهة نظره بما يلي :

« انها المرآة ، تعكس لك صورتك ، بيد أنها مشوهة بالواقع . الفنان حين يصوّر وجهه من خلال المرآة ، لا يصوّر عمليا وجهه بل وجها آخر . اذا كان أنفه مشدودا أو مائلا نحو اليمين ، يظهر في المرآة مشدودا أو مائلا نحو اليسار .

« طرس الكاتب نوع من المرآة ، ينعكس فيه الخط مشوها الى حدّ ما . صلة الكاتب بما يكتب دقيقة ، مزيفة بنفس الوقت بالنسبة ذاتها القائمة فيما بين المصور وبين صورته المعكوسة على المرآة . على القارىء أن يصحح . المؤلف الحقيقي هو القارىء ليس الكاتب . حين أقرأ رواية للكاتب « بالزاك » مثلا ، فانني أعيد انشاءها .

« الرواية ليست شيئا يُعطى بل يؤخذ .

« ينجح الكاتب حين يكتب لكل الناس ولكل منهم بمفرده . المصوّر ينظر الى اللوحة ، هذه تنظر اليه . يحاول الكاتب أن يصوّر رسما ذاتيا لايشبه صورة الانسان الاصلية بل يمثل كل من يقرأ .

« من يؤلف ، يكون وحيدا ، من يقرأ ، اذا كان أتقن القراءة ، يغدو وحيدا ، المستمع الجيد وحيد حتى ولو كان محاطا بجمع من ٥٠٠ شخص . الوحدة تكوّن نوعية الاشياء . الوحدة هي الحب . الناس يتصادفون في الطريق . يحيون بعضهم بعضا ، غالبا ما يكرهون بعضهم بعضا .

أسـلـوب موريـس روش

أسلوب موريس روش خاص متميز بل غريب ٠ يشعر القارىء بغربة حقيقية ازاء لغته وعباراته ٠ يحس" بقلق الكاتب ، بمزاجه العصبي ، بثورة عارمة في نفسه ٠

لا يعتمـد « روش » الكلمـة ليـس الا ، بل يسـتخدم النوطـات الموسيقية ، ورسوما معبرة ٠ الفرنسية لا تفي بالغرض المرجو لدى روش ، نجده يستعمل لغـات عديـدة منهـا ، اليابانية ، الصينية ، الروسية ، الانكليزية ، الاسبانية ، الايطالية الخ ٠٠٠

حين سئل في اجتماع عقد في مقر اتحاد الكتاب العرب في دمشق عن سبب استعماله هذا النهج الجديد الغريب ، قال :

« ليعرف الفرنسيون أن لغات عديدة يصلح استعمالها الى جانب لغتهم ٠ الاحرف اللاتينية ، الابجدية الفرنسية ، جامدة رتيبة ٠ ينقصها الجمال والزينة ٠ نهجي في الكتابة ، يجعلها مقبولة جميلة محببة ٠ ثم الكلمة قاصرة ، لا تكفي للتعبـير ، تحتـاج الى موسيقى ، رسـوم ، اشارات ، أشكال تبعث فيها الحيوية والحركة وتجعلها أكثر تعبيرا ٠ »

بهذا الصدد ، أبدى الاديـب الفرنسي اعجابه باللغـة العربيـة ، بأبجديتها ، بطريقة الكتابة لدى العرب ، بالخطوط المختلفة (الكوفية ، المسمارية ، الخ ٠٠٠) وقال انها جميلة راقصة متحركة معبرة ٠

قلت للكاتب روش انني مررت في كتابه «كومباكت» على صفحات كاملة بيضاء ، أو خطت عليها بضع كلمات ، جملة أو جملتان لماذا ؟ فاجـاب :

« أليس في الحياة فراغ؟ لحظات صمت؟ انني أظهر الحياة بواقعها، بأحداثها بفراغاتها »

بكل الاحوال ، يرى قـارىء موريس روش أن كتاباته تبرهن عـن قلق نفسي ، عن نظرة متشائمة الى الحياة ٠

كتابه « كومباكت » مثلا عمل متراص فعلا تصعب قراءته ، يتعذر فهمه للوهلة الاولى ، صعب التفكيك ، يحتاج الى أكثر من قراءة ، بل أكثر من قراءتين ٠ فهو مجموعة من لوحات تتلاحق تتتابع ، تصور آلام الفرد ، تدني الاخلاق ، ما آل اليه الانسان من أنانية ، من مادية من مصالح شخصية ٠ يصور كل هذا بريشة كاريكاتورية ٠ يتساءل القارىء أحيانا فيما اذا كانت فكرته أو نظرته لبعض شؤون الحياة ، قد اكتملت وأدت الغرض المرجو منها ٠

هذا ما نلاحظه أيضا في حديثه ٠ فكرة تطغـى على فكرة سابقـة ، تحول دون اكمالها ٠ فكأن الفكر لديه يسبق لسانه وقلمه ٠

نظرته التشاؤمية واضحة في كتابه « كومباكت » وفي حديثه ٠ الموت دائما في أفق الكاتب ، بمواجهته ، بعقله وبفكره ٠

من أقواله :

« ليست الحياة هنا الا للذاكرة »

« مات لأنه أغمض عينيه على حلم »

« مات لأنه نظر الى الحياة وجها لوجه »

في الكتاب المذكور ، يصف لنا ضريرا انتقل عالمه الى داخل جمجمته :

« منيموبوليس (أي مدينة الذاكرة) التي يمكنك التجول فيها تحت جمجمتك ، مدينة وحيدة ومظلمة • لا شوارع ، لا أقنية ، لا زراعة حولها • (أين تلافيف مخك ؟) بل آثار ستحاول التعلق بها : انها أسمال ذكريات (أو تخيلات) ونثرات صوتية تأتيك من الخارج ولا توحي ، في أكثر الاحيان بأي شيء • أشياء أو أجزاء تريد ربطها ببعضها ، اعطاءها معنى بوصلها ، بصبر لا يخلو من تردد ، ربما بأمل العثور على هذه الفجوة التي تدخل منها اليك الشمس بظلها ، وينساب اليها النسيان (منذ متى ؟) ، والسهر يجتاح نومك حتى يغرق فكرك •••

« ذلك كي تلج من ثقب الذاكرة هذا المضيء باحثا باديء ذي بدء عن اسم (أي اسم ؟) ترتدي ثناياه كي تندمج بكتابته •

« ثم تتهمد أخيرا في هذه الكلمة وتنام ـ ترتاح بسلام ـ تنام أعمق ما يمكن ، ولكنك لا تنام •• »

ـ بصدد نزوع الفرد المعاصر الى المادية ، يتخيل روش رجلا يابانيا جاء ليشتري جلد ظهر الاعمى المبرقش بالوشم لقاء مبلغ من المال يدفع عـلى أقساط :

يقول الأعمى : « جاء لزيارتي »

« هل الصديق المحترم مريض ، يتربصه الموت ؟ الطبيب المتواضع سيعود قريبا الى طوكيو ، يحب أن يصطحب معه الصديق المحترم ، اذا قبل أن يرافقه وأيضا أن يبيعه جسده ، جلده الموشوم ،

....

« الطبيب الوضيع قادر على أن يدفع غاليا ثمن الوشم وعلى أن يضمن أيضا للصديق المحترم نهاية حياة هادئة ، ناعمة جدا ، خاليـة من الهموم المادية

« وعد بالمال ، سيدفعه أقساطا الى المريض المحترم : الثلث عنـد توقيع العقد ، والثلث الاخير عند التسليم ، أي عند الوفاة ، مال مفيد لنفقـات الجنازة ٠

من يقرأ روش ومن يسمعه ، يلاحظ غما قلقا ، كآبة بل حزنا ٠ هذه جلية واضحة في كتاباته وفي أحاديثه ٠ حين سألته عن هذه الظاهرة المهيمنة خاصة على كتابه « كومبالت » قال :

« كنت مغموما كئيبا للغاية ٠ لم أعد كذلك ٠ تغيرت منذ حوالي سنة واحدة ٠ هذا الواقع سأوضحه في كتابي المقبل ٠

« عللي كثيرة، تابع الكاتب ،

« لي ميزة وحيدة ، اني حيوي ٠ كنت أخاف ، أتهيب كل شيء ، أرى المخاطر في كل شيء٠ حتى في علبة الكبريت٠ أرى الطائرة فأخشاها ٠ ما ان أصبح على متنها حتى ينتهي كل الخوف ٠

سرح الكاتب الفرنسي لحظات ، كأني به عاد الى ماض سحيق ٠ لم يلبث أن تنبه لانتظاري فكرّر قوله :

« أقول منذ حوالي عام زال قلقي فتغيرت٠ التقيت امرأة منذ عامين، كانت في تلك الآونة ما لم تكنه في الحقيقة ٠ ظهرت لي بغير واقعها ، نزعت عني الغمّة والكآبة ٠ اكتشفت أنها كانت هي نفسها مغمومة، مشحونة بالقلق النفسي ٠ ما كدت أكتشف ذلك حتى انفصلت عنها ٠ لم أكن أعرف النوم ، والآن أنام ملء جفوني ٠ ذلك بعد أن أتخيل امرأة، قطعة موسيقية ، كتابا ٠ »

موريس روش بقلم النقاد

كتب الاديب الفرنسي « باتريك روسو » ما يلي :

« انه في رواياته يؤلف لنا الموت والتمزق ٠ موت الجسد والعقل وموت العالم ٠ الابادة الجماعية موجودة في كل مكان ، في اللغة كما في

الاستحكامات . تحت ضربات الكلمات والرسوم ونوطات الموسيقى سنتعلم أكثر ما يمكن أن الكلام هو مكمن للمرض ، واننا نعيد الصلة مع الرقصة الجنائزية القديمة حيث كان الناس يضحكون حتى الموت .

« في هذه الرقصة بالذات اشترك هنا أصدقاء موريس روش في حلبة سكارى حيث تختلط التخيلات والتحاليل النظرية ، الاحاديث والشهادات التصويرية والصوتية » .

بينما كتب الناقد « كلود بونفوا » ما يلي :

« من بين جميع الادباء الفرنسيين المعاصرين،منذ مؤلف «كومباكت» كما نعلم ، فان موريس روش هو الاديب الذي أعاد النظر بالطريقة الاكثر جذرية في بنى الكتابة الروائية . انه يخلق في الرواية ثورة شبيهة بثورة « مالارميه » في الشعر » .

والكاتب « ماهيه غوديل » سجل عن « موريس روش » الرأي التالي :

« ان مؤلفات موريس روش « كومباكت » ، « سيركوس » ، « كوديكس »، « أوبرا بوف »، « ميموار »، « مذكرات وذاكرة » هي مؤلفات يحمل كل ما فيها على اعتبارها أهم زلزال أدبي جرى في فرنسا خلال السنوات العشر الاخيرة .»

○ بيدرو خورخيه فيرا

وصية الرب التاسعة

○ ترجمة : د. أحمد الغفري

الكاتب في سطور

ولد الكاتب الاكوادوري بيدرو خورخيه فيرا يوم ١٦ حزيران عام ١٩١٦ في مدينة (غوياكيل)، وهي ميناء كبير ، ومركز لاضرابات واضطرابات ثورية دائمة . كان استاذا جامعيا للادب في (كيتو) عاصمة الاكوادور ، ويعتبر واحدا من قادة المثقفين التقدميين في الاكوادور . وعندما استولت الطغمة العسكرية على السلطة في البلاد عام ١٩٦٣ اضطر للهجرة مع زوجته الكاتبة يوخينيا فيتيري الى التشيلي ، ومن ثم الى كوبا .

ولقد أصدر بيدرو خورخيه فيرا ديواني شعر ، هما : « رحلات جديدة » عام ١٩٣٧ ، و « النفق المضاء » عام ١٩٤٩ ، وروايات : « حيوانات نظيفة » عام ١٩٤٦ ، و « البذرة العقيمة » عام ١٩٦٢ ، و « زمن العملاء » عام ١٩٧١ ، ومجموعات قصص : « الحزن الخالد » عام ١٩٥٣ ، و « النعش المهجور » عام ١٩٦٨ ، و « وصايا الرب العشرة » عام ١٩٧٢ . وفضلا عن ذلك فقد الف أربع مسرحيات . ونال جائزة « خوسيه دي لا كوادرا » عام ١٩٥٢ ، وذلك عن مجموعة « الحزن الخالد ».

القصـــة

رآها لأول مرة وهو يمرق خبباً عبر القرية • لم تكن الوسائل تعني روديسيندو أوردونيس ، زير النساء القاسي ، عندما يعجب بامرأة ما • وبما أنه سيد مطلق السلطة في هذه المنطقة فقد كان يجبر النساء على الاستسلام له طوعا أو عنوة ليرضي رغباته التي لا تعرف الشبع • وعاد الآن يمشي متمهلا على حصانه ، وتوقف أمام المرأة المجهولة • وعندما مرّ للمرة الثالثة كانت السيدة قد غادرت النافذة ، فدخل أوردونيس الحانة المجاورة ، وسأل الخمار :

ـ من هي تلك المرأة التي تعيش في الجهة المقابلة ؟

ـ انها السيدة دوريلا زوجة المعلم الجديد •

فصاح أوردونيس مغتبطاً :

ـ ها ها !

زوجة معلم ! لهذا اذن تصده ؟ لا يمكنه أن يمسها مباشرة كما يفعل ببنات الفلاحين الأجراء ، ولذا فانه سيمسك بها من بعيد ، وستلقي نفسها بنفسها بين يديه • وأرسل لها يوم الاثنين دجاجتين ، ويوم الثلاثاء أزهارا ، ويوم الاربعاء سلة برتقال ، ويوم الخميس أقام لها تحت نافذتها حفلة « سيريناد » صاخبة قدمها مطربون من المدينة ، ويوم الجمعة ذهب الى المدرسة وطلب أن يقابل المعلم الجديد الذي لم يأت حالا،ذلك أنه يصر علىأن يصرف الأطفال أولا•وعندما انصرفجميع التلاميذ جاء ديميتريو موارايرا الى البهـو حيـث ينتظره روديسيندو

أوردونيس الذي استغرب أن يكون انسان تافه كهذا سيدا شرعيا لأجمل امرأة سبق لهذا الاقطاعي المأفون جنسياً أن التقى بها واشتهاها • ولكن ذلك أفضل لأن النزال رابح مسبقا • قال :

– أيها السيد مورايرا ، انني أدعوك ، أنت وزوجتك الى الغداء يوم غد ترحيبا بكما • وسأرسل سيارتي لتنقلكما •

واستدار دون أن ينتظر جوابا ، ومنذا الذي يجرؤ على رفض دعوة روديسيندو أوردونيس

وقبل أن تحل الساعة الثانية عشـرة من يوم السبـت ، وبعد أن جهزت المائدة ، أرسل السائق ليحضر عائلة المعلم • وبعد خمس عشرة دقيقة كانت مفعمة بالعنجهية من جانبه خرج الى الشرفة عندما سمع هدير سيارة الجيب العائدة • كان عـلى ثقـة من أن السيارة عادت بسرعة لأن المدعوين كانا ينتظران جاهزين • ولكنها وصلت خالية من الركاب باستثناء السائق الذي أسرع ليعلن :

– قال المعلم أنه يشكرك شكرا جزيلا ، ولكنه لن يتمكن من الحضور ، وانه لم يفلح يوم أمس في الرد على دعوتك لأنك انصرفت على الفور •

أشعل روديسيندو سيجارا وراح يفكر : « هكذا اذن ! هذا المعلم يسخر مني ! سأحرّض صديقي حاكم المنطقة على طرده فوراً • ولكن هذا التافه سيأخذ معه زوجتـه ، بينما يجب أن تبقى هنا عنـدي• » ودفعه ذلك الى دراسة الأمور بعناية أكبر ووضع خطة لا يتطرق اليها

الخلل ، لكي يأتي بدوريلا الرائعة الى فراشه • يجب أن يتصرف بتؤدة وحيـــلة •

ولكن يجب أولا أن تؤكل الأطعمة وتحتسى المشروبات التي رفضت• فأمر سائقه قائلا :

ـ اذهب الى الخوري وقل له أن يأتي فورا للغداء !

بعد قليل عادت سيارة الجيب بالكاهن النهم الذي يصعب عليه أن يقاوم اغراء مائدة عامرة •

أكل الاثنان وشربا حتى الثمالة وهما يتحدثان حول أشياء أخرى • وعندما صعد الكحول الى رأسيهما دخل المضيف الى عالم المغامرات الغرامية الشهي" •

ـ هل تعرف دوريلا زوجة المعلم الجديد ؟ انني مجنون بها ، مجنون كلياً • وهل يمكنك أن تتصور أنني دعوتها اليـوم للغداء مـع زوجهـا فرفضت • فما رأيك بقلة الحياء هذه ؟

ـ ولكنها متزوجة يا رجل •

ـ ماذا يضير ذلك ؟!

ـ ان الزواج مقدس ياروديسيندو • كما أن وصيـة الـرب التاسعـة لا تحتمل التأويل • »

كان أوردونيس ينتظر من رجل الدين أن يعرب عن تعاطفه معه . فأثار حفيظته التلميح لوصية الرب التاسعة . وعندما خرج القس احتسى الاقطاعي قرابة زجاجة كاملة . وبما أن التفكير بدوريلا الجميلة كان يؤرقه ، فقد امتطى صهوة جواده ، وانطلق مسعورا . وصاح بصوت حانق أمام الدار التي يقطنها الزوجان مورايرا :

ـ أيها المعلم القذر اخرج ان كنت رجلا ! لم يجرؤ أحد حتى الآن على استفزازي .

ظل البيت أبكم ، مظلما ، ميتا . وواصل أوردونيس الصياح بصوت يزداد عنفا . وأخيرا فتح الباب الخارجي ، وظهر المعلم ، وقد شحب لونه ، وهو يحمل مسدسا بيده المرتجفة .

ـ ها أنذا ، أيها السيد ، ما ذا تريد مني ؟

أخرج روديسيندو أوردونيس بمهارة القاتل المجرب مسدسه بسرعة خاطفة ، وأطلق مرتين قبل أن يتمكن مورايرا من الحركة . فسقط المعلم أمام الباب .

ترجل القاتل ، دون أن يعيد مسدسه الى مكانه،واقترب من القتيل، وركله برجله ، وصاح :

ـ حسنا ! لقد أصبحت دوريلا الآن أرملة .

○ متوتوزيلي ماتشوبا

قصة من جنوب أفريقيا

أنا لست بشرًا

○ ترجمة : عبد القادر ضلملي

« ولد متوتوزيلي ماتشوبا في مدينة سوويتو عام ١٩٥٠ ، يوم أن أخذت معالم هذه المدينة السوداء تترسم في أرباض مدينة جوهانسبورغ . ان العالم الذي يصفه هنا هو عالمه . وشارع موهال ستريت هو شارع طفولته حيث ، كما يروي « في كل صباح يوم سبت واحد تكتشف دوما جثث يغطيها ورق تعبث به الرياح » . انه عالم عنف وسقوط وموت يريد الكاتب الشاب أن يكون شاهده اليوم « كي لاأوصف بارهابي متعطش للدماء ، مهما حدث في المستقبل ». ولكي أستطيع أن أقول : هكذا كانت الاحداث التي خلقت « الستيف بيكوات والسالومون ماهلونجووات » وغيرها قبلها وما سيأتي بعدها » .

اخذ أدب هامشي معارض يزهر في جنوب افريقيا عشية أحداث سوويتو عام ١٩٧٦ ، ولاسيما بفضل مجلة « ستافريدر ــ سارية القارىء » الناطقة بالبريطانية والصادرة في جوهانسبورغ ، والتي أرادت أن تكون وسيلة تعبير للكتاب والشعراء السود من الجيل الجديد كافة ، الذين حرموا من أمثال هذه الوسيلة بوجه عام . ان قصة أنا لست بشرا ظهرت في هذه المجلة (تحت عنوان : ناديني أنت لست بشرا) ، مع غيرها من القصص القصيرة الاخرى لمتوتوزيلي ماتشوبا . ويعاني الكتاب السود مصاعب كثيرة كي يسمعوا صوتهم في بلدهم . ولقد تعرضت مجلة « ستافريدر » ، التي يتولى نشرها أبيض من جنوب افريقيا ، المنع من البيع كثيرا في جنوب افريقيا بموجب قانون ١٩٧٤ الخاص بالنشر .

وبعد مضي ثلاثة اعوام على ثورات سوويتو ، زار الصحفي الامريكي ايرنست هارش جنوب افريقيا واطلع على شروط الحياة في مدن وريف الزنوج « الرسمية » منها وماعرف منها « بمدن الصفيح » « المتوحشة » ، فنشر مقالا تحت عنوان (الحياة في سوويتو وكروسرود) ، عرض فيه وصفا دقيقا للحياة البائسة التي يعيشها الزنوج في هاتين المدينتين ، وجنوب افريقيا عموما .

ان ماتقدمه الينا هذه القصة الواقعية ليس غير جزء يسير مما عرضه علينا ذلك الصحفي حول شروط التعاسة والمهانة والموت الاسود في جنوب افريقيا على يد « السادة البيض » . وقد نشرت مقالته تلك جريدة البعث مترجمة بكاملها وتحت عنوانها بالذات : « الحياة في سوويتو وكروسرود » ، في عددها بتاريخ ١٩٧٩/٩/٢٤ .

القصــــة

لأنني كنت قد واربت وكذبت ، وقاومت ماإستطعت الى ذلك سبيلا ، وفررت وقت أن كنت موقوفاً ، وقبض علي حين انتشلت كمية ثمينة من النقود ، ولأنني كنت أحياناً أدعو أخواتي لنجدتي فيدخلن في اللعبة ويفتن مبتزي ، وأستسلم للضرب على فمي أمام نساء جنسي ، وأسمح بشتم والدتي بوصفي ابن رجل مظنون فيه ، مات مافي من بشرية مرارا ومراراً . لم يبق في فحسب غير جلد تصلب كدرع حيوان ليحدثك عن آلام الغير . فبشر يتجلد تحت أنظاري ، أتحمله في روحي . فما يعانيه من حزن أعانيه أنا أيضاً . كأس المرارة هذا الذي يتجرعه ، أتجرعه أنا أيضاً . نحن محكومون بالاشغال الشاقة ورهن سجن واحد ، نتقاسم حياة النكد .

كانوا دوماً يختارون كل يوم جمعة ليبتزوا ، رغم أنهم في هذه الأوقات لايأتون الا من وقت لآخر ، مرة واحدة في الشهر تقريباً . ربما

لأنهم وجدوا في مكان آخر مراتع أسمن ، هنالك حيث فرائسهم أسهل صيداً منها في مزيمهلوب . لقد شهد هذا المكان ، في الواقع ، مـوت ثلاثة من رفاقهم المجرمين ، كان مفاجئاً لهم ، وكانوا قد اندفعوا يصطادون غير بعيد ، فدخلوا تجمع « عزاب » في شمال حينا ، سالبين الناس في وسط معسكرات عملهم الكريهة . بعد تلك الحادثة تماماً ، أصبحت اغارتهم أقل في حينا وفي التجمع المجاور . لكن الراحة كانت قصيرة الأمد ـ فترة هدوء تسبق العاصفة ـ وكانت ذكراهم سرعان ماامحت في حينا ، ولاسيما ذكرى الموت . وبينما كنا نطلق تنهدات الارتياح ، اذا بهم يعودون للظهور فجأة ، مرعبين ايانا ثانية . في حزيران ١٩٧٦ ، كانوا قد أزيحوا عن المسرح لسنة ، ولم يشاهدوا الا بالكاد . غير أنهم أشبه بحمى خبيثة، يأبون الا أن يعودوا لجرائمهم، رافضين أن ينساهم الناس الى الأبـد .

ان من يعرف سوويتو قليلا سيتنبأ بلا ريب بأن أولئك المهووسين الذين ألمحت اليهم هم ليسوا غـير « جنود الاحتياط » من الشرطـة المشهورين الذين يزرعون شوارعنا القذرة في أثنـاء العطـل ، سـالبين البؤساء الآمنين ، متنكرين كرجال أمن للحفاظ على القانون والنظـام في المجتمع . انه لايوجد في منطقة الأكواخ كلها عصابات أكبر من مثل هؤلاء القائمين على خدمـة القانون والعدالة ، مثـل هؤلاء رجال الأمـن المتطوعين في سبيل الأمن العام . انهم خلافاً لغيرهم الذين مهنتهم العيش أيضاً من عرق ضحاياهم ، فهم يسرقون في رابعة النهار وعلى ملأ

الجميع • ومن الواضح أنه لايمكن عمل شيء لمنعهم من ذلك لأنهم يختالون تيهاً بمآثرهم تحت راية القانون • والاحتجاج ضد آثامهم يعني تحدي السلطة القائمة •

اذا ، في يوم تلك الجمعة ، كنا فوق جسر محطة مزيمهلوب • كانت الساعة تقارب الخامسة بعد الظهر • والشمس ، كرة حمراء معلقة فوق السقوف المتماثلة كلها والمتقيئة دخانها الفحمي ، تصبغ هذا السديم الكثيف بآثار قرمزية • كانت قطارات الضاحية القادمة من المدينة تتوقف تحت الجسر كل دقيقتين أو ثلاثة دقائق وتتقيىء حملها البشري الذي لاينضب والمؤلف في معظمه من المستأجرين القاطنين في المجمعات والذين يصعدون الى موهال ستريت على عجل كي يطبخوا عشاءهم الهزيل فوق سخانات كهول • كان على القطار الذي شاهدناه في هذه اللحظة بالذات أن يغادر فيفني ، ثالث محطة بعد مزيمهلوب • في هذا الوقت بالضبط ، برز القطار الذي يليه من تحت الجسر ، قادماً من نيوكندا ، حيث نقطة الاتصال بين سوويتو الشرقية وسوويتو الغربية • كانت مجموعة « المستأجرين » قد نزلت القطار وغادرت في هذا الوقت محطة فيفني ووصلت الى منعطف يتقاطع فيه شارع موهال ستريت بشارع ايليوت ستريت • كانت المائتا متر الفاصلة بين المحطة وشارع الييوت ستريت خاوية نسبياً ، فكان من السهل ملاحظة المشاة المتجهين الـى المحطـة •

حين توقف فجأة بصرير دواليبه القطار القادم من نيوكندا ، ظهر أربعة رجال ـ اثنان منهم في بزة والاثنان الآخران في طقم أزرق ـ في

زاوية موهال ستريت · وطالما عرف من هم ، لمجرد طريقة احتلالهم عرض الطريق ومشيهم وكأن كل ماكان يقع عليه حقل بصرهم ، من بشر وأشياء ، ملكهم الخاص · وحين وصلوا بمحاذاة النساء العجائز اللواتي كن يبعن ثماراً وخضاراً وأطعمة مقلية بامتداد الممرات الجانبية الكئيبة المغبرة ، أسقطوا أيديهم الفخمة فوق ماكن يمسكن به ثم توجهوا الينا وهم يمضغون بشراهة · لم يكن ممكناً عمل أي شيء أيضاً ، فالبائعات البائسات لم يكن لديهن اذن ليلتقطن شيئاً من الفتات يتيح لهن تهدئة بطون صغارهن اليتامى الصارخة جوعاً في البيت · وكن عزلا تجاه اختلاس « جنود الاحتياط » الذين لارحمة لديهم ·

صاح ماندال الواقف الى جانبي : « آي ، هاهم الشرطة ! فلنهرب ياصديقي · »

كان محقاً · هؤلاء الجنود الاحتياطيون يذكرون بلصوص الغرب الامريكي (ويستيرن) القديم · غير أني لن أتحرك من مكاني لانهم هبطوا الشارع أشبه بعصابات الغانغستر · وثمة أمر آخر : كنت أعرف أن الموظف القائم على الخدمة في يوم تلك الجمعة لايرضى باضطهاد الناس في نطاق دائرته · أردت اذاً أن أعرف كيف يطرد جنود الاحتياط ، وأتمتع بالمشهد مااستطعت ·

فأجبته : « لاتقلق · انتظر قليلا لنرى كيف سيطردهم هذا الشرطي من هنالك · لن يدعهم يصلوا الى المحطة » ·

وانقسموا الى مجموعتين حين كانوا تحت الجسر حيث كنا • وراح اثنان منهم ـ أحدهما طويل القامة في وجه يعذبه موضوع وفي سحنة لماعة، يعتمر خوذة غولف صفراء ، أشبه ببعضهم منذ خمسين عاماً ، سيء الحلاقة ، رديء الثياب ، في جبهة جرداء ووجه مخمور ، يمضغ بهدوء فخذ خروف محمص انتشله من احدى الجدات ـ يتسلقان الدرجات الواقعة الى يميننا ، وراح الأصغر يتسلقها أربعاً أربعاً • أما الاثنان الآخران ، فقد قررا أن يتوجها للقبض على ضحاياهما المطمئنين في زاوية الشارع، عند أسفل الدرجات الواقعة الى يسارنا بالضبط • كانت أول موجة من المسافرين النازلة من القطار قد وصلت الى منتصف الجسر حين بلغ الرجل أعلى الدرج •

انه لمن الممكن أن يعرف الناس جنود الاحتياط من رؤيتهم لهم ، ومن الممكن أن يشموا رائحة الشرطي في الجو الموبوء ، أو لأنه كان يوم الجمعة ، كانوا يعرفون ماذا ينتظرهم • كان يحدث دوماً أن تنكص على أعقابها الموجات الثلاث أو الأربع الاولى البشرية وتفر لتحمي حريتها الثمينة في وسط الجمهور المجهول الذي يلي • فيباغت الآخرون بهذه الحركة غير المتوقعة فيصرخون بكل جوارحهم ، محاولين أن يجدوا توازنهم •وعمت البلبلة المحطة بعد ثوان قليلة ، وكأنما قد نفذ غط متوحش الى قن دجاج • وقبض على اثنين ، ممن لم يسرعا في الهرب ، من أكمامهما وطلب اليهما اذن المرور • وبينا كانا يبرزان وثائقهما ، راح الذئاب يفتشون جيوبهما ، متظاهرين بالبحث عن أسلحة خطرة ،

مثل سكاكين أو أشياء أخرى ممنوعة يحتمل أن تكون مخفية تحت ثيابهما • وفي الحقيقة ، كانوا يريدون التأكد من أنهم قد وقعوا على صيد ثمين ليكملوا أهدافهم • وبينما كانوا يتصفحون أذونات المرور ، ظهر شرطي الحراسة •

وزعق بعنف وكأنما ظن أن عروق عنقه ستنفجر : « واذا ، أيها الحيوانات ، ألا تعرفون أن تصرفاتكم هذه القذرة ممنوعة هنا ؟ هيا انصرفوا ! هيا انصرفوا وافعلوا هذا في مكان آخر • ليس فوق رصيف سكة الحديد » •

فصاح ماندال : « اعتقل هؤلاء الكلاب ، أيها المذهول ، وامنحهم فرصة ليجربوا السجن ! »

فقلت لماندال : « نعم ، وأراهن أنهم لم يقوموا أبدا بجولة هنالك حيث هم متعجلون لارسال الآخرين • »

أخذ الناس الموجودون هنا يقذفون الأنذال خارج المحطة وبشتائم قوية • فهبطوا الدرجات خائبين ولحقوا ببطانتهم تحت الجسر • كان بعض المسافرين قد أخذهم الهرج فوصلوا الى الرصيف بانتظار انصراف جنود الاحتياط •

ولبثنا في محطة المراقبة ، فقد استمرت الاضطهادات • وتساءلت في نفسي عما اذا كان جنود الاحتياط يقرؤون حقاً أذونات المرور (اذا

افترضنا أنهم يعرفون القراءة٠) ، أو اذا كان الضحايا يعرفون فيما اذا كانت دفاترهم قانونية أم لا ٠ انه لمن الارجح أن البؤساء كانوا يصدقون ماتقوله لهم العصابات المحلفة ٠ فهذه تطلب أذونات المرور بعد أن تحكم بأن ضحاياها قليلة الخطر ، ثم تتصفح بسرعة الأوراق وتضعها في جيوبها (مما يمنع المستسلمين من متابعة طريقهم) وتأمر المستأجرين المذهولين بالبقاء حيث هم ، وقد اعتقلت ضحايا غيرهم ٠ وفي لمحة عين، كان في أحد أطراف الشارع جمع من البشر تملكهم الجنون يصيحون برفاقهم أن يتوجهوا الى غرفة رقم كذا أو كذا ويقولوا الى فلان أو فلان بأنهم موقوفون في المحطة وأن يأتوهم بنقود كي يطلقوا سراحهم٠ كان بين أولئك الذين أوفدوا قد سمعوا الرسالة قليلا حقاً ، وكانوا سعداء بتمكنهم من الافلات خارج المنطقة الخطرة ٠ ومن كان لديهم نقود أمسكوا بيد مبتزيهم واستعادوا أذونات مرورهم وصعدوا موهال ستريت في خطى سريعة ٠ فمن كان منهم عاثر الحظ وقع في فخ آخر ، على بعد ثلاثمائة متر ، حيث يتكرر كل شيء ٠ والويل لمن أعطى نقوده كلها لمختلسيه الاولين ، اذ لاحساب لذلك ٠ كان مخفر الشرطة محطة ايقافهم التالية قبل أن يقدموا أمام مفوض الشرطة ٠ فمن هنا يرسلون الى مكان ايفادهم النهائي : سجن مودربي ٠ فيمدون بعد ذلك المزارع باليد العاملة الرخيصة ، لتمضية مدة حكمهم ٠ وتختلف العقوبات بين يومين الى عامين بتهمة (لوفرسكيب ـ التشرد) ـ وهو في الواقع بطالة كان يجب ألا يعاقب عليها هؤلاء البؤساء ٠ ان النظام كله تفوح منه رائحة الاشغال الشاقة الكريهة علانية ٠

واخترقت سيارة « كويلا ـ كويلا » الكبيرة موهال ستريت برعونة شديدة • فتفرق الجمهور ، وتمسك الناس بالحواجز التي كادت أن تنهار ليدعوها تمر • وانحرفت السيارة لتفلت من أنظار المسافرين وانعطفت فجأة الى الشارع الثاني الملاصق غير البعيد عـن المحطـة • وتدفق مدد من جنود الاحتياط ليكملوا عملهم القذر بحماسة • كان الأسرى قد صفوا من قبل بامتداد حظيرة البيت الأقرب الى المحطة ، فدفعوا ركلا بالأقدام الى « الكويلا ـ كويلا » • وضربوا بقبضات الأيدي والأحذية الضخمة ليدخلوا اليها جميعا • إن سائق الكويلا ـ كويـلا هو الوحيد الذي يرتدي بزة عسكرية ، فأغلق الباب بعنف وتأكد من انـه محكم الاغلاق • ثم توجه واستقر عند احدى البائعات ، واختطف بحركة متسلطة اجاصة محام (نوع من الثمار) ، وقشرها وأكلها كما هـي وأدخلها في فم عملاق ثم بصق نواتها الضخمة • لم يكن بحاجة لان يكلف نفسه العناء فيعتقل أياً كان • كان رفاقه من الغانغستر قد تركوا لـه حصة كبيرة من غنيمتهم ، وقدموا له فوق ذلك بـيرة وبراندي • ولـم يكف عن أن يعيد الى كرشه حزامه الملمع جيداً بمسدسه من عيار ثمانية وثلاثين البوليسي ، في غلافه الجلدي ، ثم يسحبه ثانية فوق ذراعه • كان يفضل بلا ريب حمل سلاحه بطريقة مسترخية وكأنه كاوبوي •

كان فتـى يقارب السابعة عشرة قد أمسك و في جيبه سكين • انه يعتبر سلاحا خطراً • فضرب ضرباً مبرحاً ووضع الغل بيديه قبل أن

يوقف الى جدار المحطة الاسمنتي • بعد عشر دقائق ، نزلت أخته من القطار ، وكانت ناعمة ، لتكتشف أخاها الشاب بين الأشخاص الموقوفين وبينما كانت تسأله عن سبب اعتقاله وتوبخه لحمله سكيناً اقترب منها جندي احتياط شاب وأخذ يتملقها • فسايرته • وأطلق سراح أخيها بعد ثلاث دقائق • كان وجه الجندي الاحتياط متهللا ، مسرورا لانه ، بممارسته وظائفه ، قدم خدماته لامرأة جميلة ، لكنه كان يجهل طبعاً أن العنوان الذي أعطته اياه كان زائفاً • كانت أخواتنا الزنجيات يضطررن أحياناً أن يسايرن حتى النهاية كي ينقذن رفاقهن ، فكالعادة ، كان لايمكن عمل أي شيء آخر غير ذلك •

هبط موهال ستريت رجل كانت ملاحظته سهلة بين الجمهور ، من الكيس والحقيبة المحملين فوق كتفه • لم يعرف أنه كان يوم الجمعة ، يوم السلب والنشل ، الا حين صدم جنديي الاحتياط اللذين برزا فوق انطريق وطلبا اليه أن يضع حوائجه • وحين أدرك الفخ ، شاع في وجهه الارتباك الشديد • وأخذ يتهجس بجنون جيوب بدلته • وتفاقم الارتباك أيضاً في وجهه القاتم • وبحث أيضاً ، لكن عبثاً • فأخذه الرجلان اللذان أوقفاه جانباً ، وقد أمسك كل منهمابشدة بكم بدلته • واستسلم من غير أن يحتج ، أشبه بحيوان مروض ، ورفعا ذراعيه وهما ينبشانه بدقة • وحين لم يجدا شيئاً مخفياً لديه ، طلبا منه اذن المرور الذي لامناص منه ، رغم أنهما كانا قد لاحظا أنه ليس لديه • راحت يداه تشوران وهو يشرح لهما سبب عدم حمله الوثيقة • من هنا حيث كنت

على بعد أمتار قليلة فوقهم ، كنت بالكاد أن أسمع مايدور بينهم من أحاديث · قال متوجعاً : « هذا صحيح يامادودا ، لقد أخطأت · لقد وضعت اذن المرور في حوائجي · نسيته في سترته في حقيبتي · »

قال أحد جنديي الاحتياط في لهجة عدوانية : « كيف نعرف أنك لست كاذباً ،ها ؟ »

وظهر الاحتياطي الثاني أشد بشاعة وقسوة أيضاً : « يجب أن تؤخذ ببلادتك · هذا سيقودك الى السجن مباشرة ، لا الى زوجتك ·

ـ أيها الاخ ، دعك مكاني · لقد مضى علي عامان لم أر خلالهما عائلتي · هذه هي المرة الاولى التي يمكنني فيها أن أتوجه لاحتضن بين ذراعي صغيرتي التوأمين اللتين ولدتا حين كنت هنا · اعثر على زنجي آخر بائس ، من فضلك ، ياأخي العزيز · سامحني لهذه المرة ·

ـ وماذا أيضاً ! ليس مهماً أن نصدم الأطفال · نحن أيضاً لدينا عائلات · حتى أننا نعمل في سبيلهم في هذه اللحظة ·

كان ذلك رد الآخر بوحشية معاندة ·

ـ ولكنك يامفو ، ألم ترتكب ، أنت أيضاً ، خطيئة الآن ؟ »

كان على الرجل المحتجز الا يطرح هذا السؤال · كان الرد عليه مصحوباً بصفعة قوية على وجهه · « هل تظنني حيواناً مثلك ، ها ؟ كبل هذا الرجل ، يامازيبوكو ، قيده بهذه الاغلال السيئة ، هذا الكلب ·

فاقترح أقلهما وحشية : ـ

ـ كلا ، ياعزيزي ، دعني أتحدث الى هذا البائس • ربما يمكنه أن يفعل لنا شيئاً مقابل حريته •

ثم سحب الرجل بعيدا عن الأسرى الآخرين •

« نعم ، تدبر أمره أنت بنفسك يامازيبوكو • أنا لايمكنني أن أتحمل أن أوجه كلامي الى فلاحين بليدين من أمثاله • سأخنقه بيدي ان فكر بأني جئت الى جوهانسبورغ لأتسلى ! » كان الغضب في صوت الرجل مصطنعاً • كان أشبه بصوت نذل يريد أن يخيف أحدهم باخضاعه لرحمته • حتى أني أعتقد انه لايستطيع أن يجابه فأرة • واقترب من مراهقين ونبشهما ، لكنه لم يطلب اذني مروريهما •

وأوضح الاحتياطي للرجل الموقوف الطريقة الوحيدة للخلاص، بصوت متملق ، أفسدته الرشوة ـ الباعث الاوحد والوحيد الذي دفعه للانخراط في الشرطة : « أنت ترى ياصديقي ، انك في ورطة حقاً • أنا وحدي من يستطيع مساعدتك • ان الرجل الذي أوقفك ليس في يوم طالعه • سأدافع لصالحك ، ولكن عليك أن تبذل جهداً بسيطاً • »

« ليس في جيبي فلس واحد • كل ما أعطيت من نقود خلال عملي صرفتها في شراء مؤن وهدايا لعائلتي وبطاقة القطار • انظر ، يانكوزي، عندي بطاقتي فقط والشيكات التي تسمح لي بسحب النقود عندما أصبح في بيتي • » وأخرج أوراقه وفك بزة عمله حتى خاصريه ، بحيث

أمكن مشاهدة بنطاله الكستناوي الذي يلبسه تحتها • وقلب جيوبه القــذرة • « ليس غير هذا في جيوبي ، سيدي ، بكل احترام •

ـ اسمع !

ـ نعم ، سيدي ؟؟

ـ هل تريد أن تعود لبيتك وترى زوجتك وأطفالك ؟

ـ نعم ، أرجوك ، أيها الاخ ، دعني أذهب !

ـ اذا لماذا ترني هذه الشيكات المفلسة ؟ انها ستقيت أطفالـك أنت ، لاأطفالي • حين تعود الى بيتك ، ستسحب نقودا ويحك أطفالك بطونهم ويقيلون بعد وقعة طعام طيبة ، أما أنا فسأفقد عملي لانــي تركتك تنصرف ، وعندئذ لايبقى أمام أطفالي الا أن يبحثوا في صناديق القمامة مع الكلاب • أنت ترى أنك لست طيباً أيها السيد • » والتفت الى شريكه : « هيه ، يابابيولي ، رجلك يقول أن ليس لديه شيء • ومع هذا سيلحق بعائلته التي لم يرها منذ عامين !

ـ قلت لك أن تضع الاغلال في يديه • من الراجح أنه يخفي مالا بسيطاً في ثيابه الداخلية • ولربما أنه خجل من اظهار ذلك أمام الملأ • ولكن هذا سيتم في المخفر ، أو في الزنزانة عندما يهزه جنودنا المستجدون •

ـ هيا ، تعال هنا أنت ، يديك ! »

وحاول هذا أن يخلص يديه• وارتفع صوته اليائس : «آ ، ياصديقي أنتما جديان ؟ تريدان اعتقالي حقاً ؟ سامحاني ! من فضلكما • »

وأعقب ذلك صراع بين الرجلين •

« تقاوم الاعتقال ؟ يالك من ••• » وانصب سيل من الشتائم يشرّح والدته •

كلا ، كلا ، أنا لاأقاوم ، ولكن استمعا الي ، من فضلكما ! » وكافح الرجل ونجح في التخلص من شد الاحتياطي اليه • لم يكن الاخير غير قطعة شحم بلا لحم يكسوها ، فتراجع ثلاث خطوات وصرخ وسقط فوق آخر مقطورة • كانت نظرته نظرة قاتل حين عاد ووقف على قدميه بسرعة مذهلة بالنسبة لمثل كتلته • وغادر شركاؤه مراكزهم مسرعين وانقضوا على الرجل الاعزل أشبه برهط ضباع منقض على هيكل عظمي • فوجد الآخرون الذين سلبوا فوق الجسر في ذلك فرصة للهرب والذئاب ماتزال منشغلة • ونزلوا الدرجات بسرعة وصعدوا موهال ستريت بسرعة خيول السباق • كان شابان قد أوثقا معاً ، فانتهزا تحول الأنظار عنهما واندفعا مترادفين في أول شارع صادفهما ، يحملان أغلالهما معهما • كانا يركضان على نحو غريب ، موثوقين كل منهما الى الآخر من يديهما ، لكنهما كانا شابين وفي صحة جيدة ، يحسنان التخلص من هذه الورطة ، بالنظر للظروف •

لم نستطع أن نتحمل وقتاً أطول ما كان يعانيه الرجل الآخر من لكـم مبـرح ٠

« هيي ! هيي ! أيها الأوغاد ، كفوا عن ضربه بهذا الشكل ٠ أودعوه السجن ان شئتم ، ولكن كفوا عن ضربه ٠انكم توشكون أن تقتلوه ، أيها القذرون ! » ورحنا نحتج بصخب٠ وتشكل حشد غفير٠ صاح أحدهم: « توقفوا ، والا ستميتونه الى الابد ! » ٠

وتوقف المهووسون ، مظهرين نتيجة عملهم القذر ٠ كان الرجـل يئن في أسفل السياج ، في الجانب الآخر من الشارع حيث يتكدس الغبار ، وتلوى محاولا أن يجلس ٠ كان يغطي وجهه الغبار والدم ، وقد انزلقـت الاغلال في معصميه حيث بلغت هدفها ، وفي وجه مشوه القسمات الـى حد بشع ٠ ولكن هذا لم يكن كافيا بالنسبة للرجل السمين ٠ فركع وأمسك بقبضتي الرجل النائح يريد ربطهما بأغلال بالحاجز ٠

«هيي ، هيي ، هيي ! أيها الشيطان ! دعه يذهب ٠ ألا ترى أنـك ضربت كثيرا هذا الرجل ؟ »

أصبح الجو متفجراً ، وشعر بذلك الشرطي المرتدي بزة ٠ قال وهو يرشق نظرات قلقة في كل اتجاه : « دعوه يذهب أيها الشباب ٠ سامحوه٠ دعوه يذهب » ٠

حينئذ ، أتى الرجلُ المضروب بما لم يكن متوقعاً ، ومحزناً جدا ٠ ركع أمام الذي أمر بتخلية سبيله ، وقال ويداه يغطيهما الغبار وقـد

ضمهما في حركة توسل الى ركبتيه : « شكرا جزيلا ، سيدي · فليباركك الله · الآن يمكنني أن أجتمع بصغيرتي التوأمين وعائلتي · »
ولو خطر في باله أمر في لحظة هذا العفو ، لقبل حذاء الشرطي اللماع جـدا ·

ونفض المسكين الغبار عن ثيابه بقدر مااستطاع ولملم صرتيه وتسلق الدرجات بعناء وهو يحاول ، بوجهه المقطب ، أن يشكر الجمهور الذي صرخ دفاعاً عنه · وقـرر الشرطي أن يكون هذا يوم حلمه · ودفع قطيع البائسين الآخرين الى الكويلا ـ كويلا المنتظرة ·

حاولت أن أتصور كيف سيفسر الرجل وجهه المتورم لزوجته · وتصورته كيف يقذف توأميه في الهواء ويلتقطهما ، أيضاً وأيضاً ، ويحتضنهما ويلعب معهما ·

وهمس فيأذنيماندال : «أمامنا طريق طويلة نجتازها،ياصديقي»·
فسألته : « لنذهب أين ؟

ـ قبل أن نصل الى الجحيم · ها ! ها ! ربما هنالك نصبح بشراً ·

ـ آه ! نحن نسير فيه منذ زمن طويل · نحن في الجحيم منـذ زمـن بعيـد ·

ـ قبل أن نخرج منه ، اذاً ···

السّادية وقتل الأطفال في «مُرتفعات وذرنغ»

ويد طومسون
○ ترجمة : محمود منقذ الهاشمي

سوف تقدم هذه المقالة تفسيراً لـ « مرتفعات وذرنغ » قائماً على السادية الشاذة التي كوّنت تصور املي برونتي للعلاقات الانفعالية وستكشف عن دلالة انهماكها في « قتل الأطفال » . فالمرء اذا لم يدرك أهمية قتل الأطفال والسادية في « مرتفعات وذرنغ » فانه لن يستطيع أن يدرك طبيعة الهوى بين كاثرين وهيثكلين ، وأنا مؤمن أن ذلك الهوى ظل مستعصياً على الفهم باستمرار ، ولا أن يفهم الباعث على قتل هيثكليف لابنه . ان مُحاجتي الرئيسية هي أن « مرتفعات وذرنغ » هي في جوهرها كتاب منحرف ـ وأنا أستخدم هذا المصطلح مجرداً من دلالاته الازدرائية المألوفة ـ وأن قوته مدينة لانحرافه على وجه التحديد .

ـ ١

يمكننا أن نلاحظ في المقاج الأول أن الأطفال في « مرتفعات وذرنغ »* كالأطفال في أسرة برونتي قد تُركوا ليَعنوا بأنفسهم في بداية الحياة

* Wade Thompson « Infanticide and Sadirm in Wuthering Heights », Publieations of the Modern Language Association, vol. 78, 1963.

دون أن يلقوا حب الأمهات أو حمايتهن · ان كاثرين ايرنشو لم تكن قد أتمت الثامنة من عمرها عندما تموت أمهـا ، وولادة كاثـي لينتـون تتزامـن مع موت أمهـا ، وأم هيرتون تموت في سنة مولده ، وهيثكليف يَيَتّم وهو في السابعة · وحتى الأطفال الذين يتلقون الرعاية الامومية في طفولتهم لا ينعمون بها طويلا بعد أن يبلغوا سن البلوغ · فيفقد لينتون هيثكليف أمه قبل أن يتم الثالثة عشرة من عمره ـ ولا شك أن لينتون يظل طفلا طوال حياته ـ وتَيَتّم ايزابيلا لينتون وهي في الرابعة عشرة من عمرها · والاستثناءان الوحيدان ـ وهما غير مهمين ـ هما هندلي ايرنشو وادغار لينتون ، اللذان يكونـان في السادسة عشـرة والثامنة عشرة على التوالي عندما تموت أم كل منهما (وحتى أم كل منهما لاتبدو « أمومية » جدا)(١) ·

والأطفال المحرومون من أمهاتهم (٢) ، يجدون أنفسهم في صـراع البقاء الضاري معالبالغين المفعمين بالعدوانية الذين يبدون وقد تملكتهم الرغبة في قتلهم أو تشويههم · ومن الحلم الذي رآه لوكوود حول جـذب

(١) انني مدين للدراسة الكلاسيكية التي كتبها س.ب . سانجر C. P. Sanger وعنوانها «بناء مرتفعات وذرنغ » بالنسبة الى التواريخ والاعمار .

(٢) خلال الرواية توضع امام القارىء تنبيهات عرضية الى الحرمان من الحـب الامومي . ففـي الفصل الافتتاحي ، مثلا ، تتلقـى الجراء الصغيرة الحماية الرائعة من كلبة الصيد الكبيرة ـ وهذا النوع من الحماية لم يعرفه الاطفال ابدا . وثمة استعارات متناثرة تحمل التنبيه نفسه ، ومنها : « لم يكن بوسع اي ام ان ترضع طفلا واحدا باخلاص اشـد » ، « ان اي طائر عائـد الـى العش المسلوب الذي كان طافحا بسقسقة الطيور اليافعة لايعبر عن الياس اكثر من ذلك ... »

معصم الطفلة ـ الشبح كاثرين الى حافة النافذة المثلمة ، الى ابتهاج هيثكليف بالقضاء على حياة ابنه السريع النمو ، تمثل الرواية عدداً وافراً من الانحرافات الملحة على موضوع قتل الاطفال المروّع ۰ وعندما يؤتى بهيثكليف وهو صبي الى منزل ايرنشو فان رد الفعل الأول عند مسز ايرنشو هو أن « تطوّح به خارج الأبواب » ۰ في تلك الليلة تقوم حتى نلي دين اللطيفة الرقيقة الفؤاد (٢) بوضعه على منبسط السلم آملة « أن يكون في الغد قد اختفى » (الفصل الرابع) ۰ بعد ذلك يقبض عليه المستر لينتون العجوز متلصصاً عليه ومعه كاثرين قرب ثرشكروس غرانج فيهتف على التو « انه مجرد صبي ۰۰۰ أليس من الرحمة بالبلاد أن نشنقه فوراً ۰۰۰؟ » وتطلق ايزابيلا هذه العبارة بلهجتها الطفولية : « شيء رهيب ! ضعه في القبو ، يا بابا » (الفصل السادس) ۰

ويعيش الطفل هيرتون ايرنشو في خطر أكبر ۰ والدافع الأول عند هندلي عندما يكون مخموراً هو أن يقتل ابنه ، الذي تخفيه نلي دين على الدوام ۰ وفي وقت ما ينقذ هيثكليف هيرتون مصادفة من السقوط، ولكن الخطأ أثاره الى حد أنه « لو كان المكان مظلماً ۰۰۰ لحاول اصلاح

---

(٢) يستنتج جيمس هافلي James Hafley بان نلي دين هي النذلة الماكرة وان هيثكليف انما هو نوع من عطيل الذي لم يدرك غدرها : « The Villain in Wuthering Heights », Nineteenth - Century Fiction, vol. 13, 1958, pp. 199 - 215. ان هذه المحاججة مبالغ فيها على نحو غير معقول ، ولكنها محقة في الاشارة الى ما في حيل نلي دين وذرائعها من قسوة . والواقع ان نذالة نلي دين هي نذالة العريف الذي يود ان يصبح رقيبا اول ويريد ان يؤثر بشتى الوسائل في الضباط من اجل ان ينال الرتبة .

الخطأ بتحطيم جمجمة هيرتون على درجات السلم (الفصل التاسع) ٠وفي وقت لاحق تتملك هيثكليف رغبة جامحة في أن « يلوي » حياة هيرتون ، ويقول : « سنرى ان كانت الشجرة لن تنمو معوجة كالأخرى » (الفصل السابع عشر) ، ونلي دين تعتقد أن « التربة » الطبيعية لهيرتون قد تثمر « محصولا خصبا » دون أن يتعرض لهذه الاعاقة المتعمدة ٠

ويفلح هيرتون بطريقة ما في البقاء على قيد الحياة ، الا أن لينتون هيثكليف يعذبه أبوه تعذيباً بطيئاً حتى الموت بعد أن سيطرت عليه الرغبة في قتله : « لو ولدت في مكان فيه القوانين أقل صرامة والأذواق أقل أناقة ، لسليت نفسي بتقطيع أوصال هذين الاثنين (لينتون وكاثي) حيين تقطيعاً بطيئاً ، وجعلت من ذلك لهو المساء ٠ » (الفصل السابع والعشرون) ٠

وحتى في ثرشكروس غرانج ، حيث لايتوجب على الأطفال أن يحبسوا أنفاسهم خشية أن يقتلوا ، فان القلق على سعادتهم شاذ والمشاعر الأمومية ليست قوية ٠ وكاثي هي لدى ولادتها طفلة « غير مرحب بها » و «مهملة» ، و « عندما استقبلت الحياة بالبكاء ، لم يهتم أحد باطعامها لقمة ، في الساعات الاولى من الوجود » (الفصل السادس عشر) ٠ ومن الواضح أن ايزابيلا حتى وهي أم تنتظر مولودا لاترغب في الأطفال وتأمر نلي دين « أن تبعد طفلة كاثرين المسكينة : انني لاأود أن أراها ! » (الفصل السابع عشر) ٠ وكذلك فان ادغار لينتون ، على

الرغم من رعايته الودود ، فانه يضمر فكرة قتل ابنته بدلا من زوجها لينتون • يقول : « الأجدر بي أن أتخلـى عنها للاله ، وأن أوسدها الثرى قبلي • » (الفصل الخامس والعشرون) •

وتمتد ثيمة قتل الاطفال رمزيا في الرواية عبر قتل الحيوانات الضعيفة العاجزة • ففي بداية الرواية يجد لوكوود كومة من الارانـب الميتة في منزل هيثكليف •

وفي احدى المناسبات تقتحم ايزابيلا على هيرتون الذي كان يشنق مجموعة من الجراء من أسفل الكرسي (الفصل السابع عشر) • ويظهر هيثيكليف لايزابيلا أي نوع من البشر هو بشنقه كلب صيدها الصغـير المدلل • وفي هذيان كاثرين وهي على فراش الموت تتذكر كيف رأت هي وهيثكليف عش الزقزاق «المليءبالهياكل العظمية الصغيرة • فهيثكليف قد نصب فخاً فوقه ، فلم تجرؤ الطيور الكبيرة أن تأتي اليه » (الفصل الثاني عشر) • والتسلية الأثيرة عند لينتون هيثيلكليف هي تعذيب الهرر التي اقتلعت أسنانها ومخالبها حتى الموت •

ان قتل الحيوان الضعيف يشكل أساسا لتشبيهات عديدة • وهكذا لم يستطع ادغار لينتون أن يترك كاثرين أكثر مما تستطيع الهرة أن تترك « فأرة نصف مقتولة ، أو طائرا نصف مأكول • » وايزابيلا بـين يدي هيثكليف أشبه بـ « الكناري في الحديقة العامة في يوم من أيـام

الشتاء • » أو ان هندلي ايرنشو أشبه بـ « الخروف الضال » الذي « تخلى عنه الله » وهيثكليف هو « الحيوان الشرير » الذي « يطوف خلسة بينه وبين حظيرة الخراف » •

ومن ثم ترينا املي برونتي مباشرة وبشكل غير مباشر عالماً يعيش فيه اليافعون والضعاف في خطر دائم • والقدر الذي كانت فيه هذه الرؤية ملزمة للكاتبة قد تدل عليه المثابرة على موضوع قتل الأطفال في شعرها • فالقصيدة التي فاتحتها « كان ليلا ، وقد جمعها رفاقها كلها » تنص خصوصاً على فعل قتل الطفل الرهيب :

قل ، ان الاثم لن يخلع الشحوب على ذلك الخد
ولا الوصية المعذبة ستخلعه على ذلك الجبين ،
تكلم ، برحمتك ، أيها الخالق ، تكلم ،
وجنب الامان من المصيبة .

وعند هذه النقطة يدرك المتكلم نيتها :

لماذا شككت ؟ فتحت سيطرة الله
تبقى اقدارنا المشتركة ،
وروحي الصافية الملائكية كما هي الان
ينبغي أن تذهب الى السماء من جديد

وثمة قصيدة أخرى بدايتها « رأيت هذه الوهدة في ضياء تموز » (H. 150) ، تذكر توق الامم الى الصيف ، لان « ضياء تموز » سيكون الجو المثالي لقتل ابنتها • وحيث كان عليها أن تقترف جريمة قتل الطفلة في الشتاء :

وداعا ايتها الطفلة الملعونة ، المنبوذة ،

لااستطيع تحمل رؤيتك تموتين .

ولم تستطع حتى قارئة شديدة الملاحظة من مثل فاني راتشفورد الا « تدريجياً وعلى مضض »(٤) أن تتبين قتل الأطفال الذي لامبرر له في قسم روزينا (أو١٠ ج١٠٠) أو جيرالدين وكما أشار ليسستر برادنر فان املي برونتي تبدو هاجسة برؤية الطفل اليافع الجميل السعيد يشب الى حياة البؤس أو الجريمة أو كليهما معا . فمن الواضح أن الموت للطفل أفضل من الحياة(٥) .

وتعبر القصيدة بعد القصيدة عن الاحساس بالتملك الكامل الارغامي ، المعروف في الطفولة ، والذي لايسترد الا في الموت ـ على الرغم من أنه كان لقتل الطفل نوع من التبرير الديني . وهكذا فقد ارتبط الموت والطفولة بشدة بسلسلة من تداعيات املي برونتي .

والرابطة الأخرى في السلسلة هي انتشار الالم مما يجعله شرطاً جوهرياً للحياة والهيجانات الوحشية للقسوة والعنف في « مرتفعات وذرنغ » هي من الحيوية مايجعل المرء لايلاحظ كيف يغدو نزول الالم المتكرر أمراً متوقعاً بوصفه النتيجة الطبيعية . الضغط المؤلم ، والصفع ، وشد الشعر يجري باستمرار . فكاثرين توقظ نلي دين ، لابهزها بلطف ، بل بشد شعرها . وتسمع نلي دين « توبيخاً مدوياً » من فم كاثرين الوقح . وعندما تغدت كاثرين أول مرة عند آل ايرنشو ، كانت « في

4 — Fanny Ratchford, Gondol's Queen, McGraw - Hill, 1955, p. 122 .
5 — Leicester Bradner « The Grouth of Wuthering Heights », PMLA. vol. 48, 1933, pp. 129 - 46.

أقصى مرحها ، تقسم طعامها بين الكلب الصغير و « سكلكر » الذي كانت تقرص أنفه وهو يأكل ، وتضرم شرارة الروح في عيون آل لينتون الزرقاء الخالية من التعبير » (الفصل السادس) • بعد ذلك كانت من شدة بهجتها تقول : « لو صفعني أقل مخلوق في الحياة على خدي ، لما اكتفيت بأن أدير له الخد الآخر ، بل لسألته الصفح عن اثارتي له » (الفصل العاشر) •

ان الألم ، النازل بالجرح والطعن، يشكل النقطةالحيويةلتشبيهات عديدة • فتتحدث نلي دين عن « الهواء الصقيعي الذي كان يجرحكتفيها كأنه سكين » • وفي احدى المناسباب ، كانت ايزابيلا تصرخ « كأن السحرة يحركون فيها الابر الملتهبة » • وعندما كان هيرتون يمد يده على استحياء ليمسد عقصة من شعر كاثي فكأنه « كان يغرز السكين في عنقها، فأخذت تستدير من جراء ذلك » • وكان لينتون « يؤكد أن طعنة السكين لن تكون عنده أشد ايلاما من رؤية زوجته مغتاظة » •

وفي اسلوب كهذا كثيرا ما يوحي الالم بتهديدات الخنق ، أو قطع الهواء ، أو الشنق • وهكذا فان لينتون هيثكليف ، وهو الذي على شفا « الخنق » دائما ، لا يريد أن تقبله كاثي لانه يخشى أن يفقد أنفاسه • وهيثكليف يهدد بأن « يشنق » كاثي اذا لم تكن هادئة • وحتى الصفات والافعال يكتنفها الخنق • فتساقط الثلج « خانق » •وهيرتون « أخمد

العاصفة بالسباب الوحشي » والزوار قد اختنقوا في العباءات والفرو (٦) ٠

وباختصار فان عالم « مرتفعات وذرنغ » هو عالم السادية والعنف والوحشية المفرطة ، وفيه على الاطفال ـ المحرومين من حماية أمهاتهم ـ أن يحاربوا من أجل الحياة البالغين الذين لا يكادون يظهرون لطفا أو حبا أو رحمة ٠ والانفعالات الطبيعية تكاد تكون مقلوبة قلبا كاملا : فالبغض يحل محل الحب ، والوحشية محل الرقة ، ويعتمد البقاء في الحياة على قدرة المرء أن يكون خشنا وقاسيا ومتمردا ٠

— ٢ —

عندما يتأمل المرء في الخطر غير المحتمل للالم والموت اللذين يخضع لهما الاطفال في « مرتفعات وذرنغ » فانه يصطدم بالسخرية الرهيبة في أن كاثرين ، بعد موتها ، تود أن تعود ـ وتعود حقا ـ لا بوصفها بالغة بل طفلة ٠ وكانت نلي دين عاطفية أكثر مما ينبغي ، ولكنها كانت على حق في وصف موتها لهيثكليف بقولها : « انها تضطجع » وعلى وجهها ابتسامة حلوة ، وآخر أفكارها تطوف حول أيامها الاولى السارة ٠ » وكانت رهبة تلك الايام بادية ظاهرة ، ورغم ذلك فان رغبتها في العودة اليها تصبح واضحة اذا فهمنا شخصيتها حق الفهم ٠

---

(٦) يلاحظ مارك شورر Mark Schorer أن « املي برونتي تؤصل تشبيهاتها في الحياة الضارية للحيوانات وفي الحياة القاسية للعناصر ـ النار والريح والماء » : Fiction and the « Matrix of Analagy », Kenyon Revieuv, vol. II, 1949, p. 545.

ويضاف الى ذلك أن العديد من تشبيهاتها الفعالة متاصلة في الالم ـ الجرح والطعن والخنق .

ان كاثرين الطفلة ذات نوع من القوة الذكورية التي لا يمتلكها عادة الا أشد البالغين قسوة ، فهي لها قدرات غير طفولية على ضبط النفس والتحمل والتمرد الطويل ، وبوسعها وبيسر أن تكون على مستوى الالم • وتتذكرها نلي دين وحشة صغيرة فاسدة الخلق : « كانت لها طرق لم أرَ طفلة تتبناها من قبل ، وكانت تفقدنا الصبر خمسين مرة وأكثر في اليوم » (الفصل الخامس) • « ولم تكن تبلغ من السعادة ذروتها الا عندما نقوم جميعا بتوبيخها ، فتتحدانا بنظراتها الجريئة الوقحة وكلماتها الجاهزة » •

وهكذا كانت من القسوة الى حد أن بوسعها أن تضحك في أثناء العقاب • وكان أعظم مسراتها أن تجري مع هيثكليف الى المستنقعات في الصباح وأن تظل ثمة طوال اليوم• والعقوبة التالية قد لطفها الاحتيال ليس غير • « تصميم على الثأر سيء السلوك » • ففي الوقت الذي تزور فيه ثرشكروس غرانج تكون قادرة على عدم الاكتراث بالالم بسهولة مذهلة • ويروي هيثكليف : « جرينا من قمة المرتفعات الى الحديقة ، دونما توقف ـ وقد انهزمت كاثرين في السباق هزيمة منكرة ، لانها كانت حافية القدمين » (الفصل السادس) • وخلال التجربة نفسها عضها البلدغ (وهو نوع من الكلاب) ، ورغم أنها كانت « مريضة ••• من الالم » تدعو هيثكليف ، لا أن ينقذها ، بل أن ينقذ نفسه • « انها لم تصرخ ـ لا ! وكانت تزدري أن تفعل ذلك لو أن بقرة مجنونة غرزت فيها قرنيها • »

ابان هذه الفترة الباكرة (تشير حادثة ثرشكروس غرانج بجلاء الى دخولها في سن البلوغ ـ في الثانية عشرة من العمر فقدت أبا تمكنت من أن تسوسه بيسر ، وحظيت ببديل لم تتمكن من ذلك معه) ، هي لا تصرخ ، ولا تفقد ثقتها بنفسها ، ولا تتخلى عن اتزانها المتغطرس .

وفي الوقت نفسه يثبت هيثكليف أنه رابط الجأش لا يبالي بالتخويف بالالم أو العذاب . فعندما يقذفه هندلي بالثقل الحديدي خلال الجدال حول المهرين ، تستبد الدهشة بنلي دين « لمشاهدتها كيف استجمع الغلام نفسه ، واستمر على قصده ، فاستبدل الصهوات وكل معدات المهر ، ثم جلس على حزمة من القش ليتغلب على الغثيان الذي أحدثته له الضربة العنيفة ، قبل أن يدخل الدار » (الفصل الرابع) .

ويقيم هذان « الطفلان » شبه الشاذين معا علاقة باطنية ، شكلها الالم وعبر عنها العصيان . وهما يشعران بالتماثل المطلق مع بعضهما . فهيثكليف لا يستطيع أن يتصور نفسه يسلك مع كاثرين كما يسلك ادغار لينتون مع ايزابيلا : « أضبطتني أريد شيئا أرادته كاثرين ؟ أم أوجدتنا منفردين نبحث عن التسلية في الصراخ والنشيج والتدحرج على الارض ، تفصلنا الغرفة بكاملها ؟ » (الفصل السادس) . وكاثرين هي كما نذرت نفسها . انها تصر : « أنا هيثكليف » ـ وما دامت تستطيع أن تتماثل معه فهي قوية .

وكثيرا ما تشي بحدة علاقتهما ايحاءات سفاح القربى والجنسية الطفلية . ومن الممكن وفي يسر أن يكون هيثكليف أخا كاثرين غير

الشقيق ـ ونحن على الاقل مطالبون بأن نفكر في هذه الشبهة (٧) ـ وكاثرين في كل الاحيان تقريبا تستخدم اللغة المجازية لسفاح القربى لتعبر بها عن كلفها بهيثكليف : « الجوهر الشيطاني نفسه » • وكانت هي وهيثكليف ينامان معا حتى تجاوزت الثانية عشرة ، وأخذت تصرخ في أول مرة فصلهما هندلي عن بعضهما فلم يعودا شريكين في السرير •

ويبدأ تحطم شخصية كاثرين بحادثة ثرشكروس غرانج • فهي تعجز عن رؤية أن دخولها سن البلوغ يقتضي تغييرا جذريا في علاقتها بهيثكليف ، ويعوزها أن تفهم سلوكها بعد عودتها الى مرتفعات وذرنغ (الفصل السابع) • ويظل موقفها منه كما كان قبل البلوغ ، على أنه يرتد « بثبك غاضب عن ملاطفاتها الانثوية » •

وبحضوره تظهر احتمالها الذكوري للالم وازدراءها للمآخذ التي اتصفت بها طفولتها • وعندما يقذف هيثكليف صلصة تفاح حارة في وجه ادغار لينتون ، تلوم ادغار لاثارته له ، وتضيف : « انه سيجلد ،

---

(٧) ان المستر ايرنشو لايفسر تفسيرا مقبولا لم جاء بهيثكليف الى مرتفعات وذرنغ في المقام الاول ، ولا يفسر ـ وهذا ادعى الى الريبة ـ لم يؤثر هيثكليف على اولاده الاخرين . وتساءل نلي دين نفسها ، دون مسوغ ، وكانها تلقن القارىء : « من أين جاء هذا الشيء الصغير المظلم الذي الجاه اليه رجل طيب ليخربه ؟ » وقد لاحظ اريك سولومون حديثا « الهالة الغامضة المتعلقة بسفاح القربى حول الحبكة الكلية لـ « مرتفعات وذرنغ » واضاف ان كاثرين وهيثكليف لو كانا اختا واخا حقيقين لازدادت « ماساة مرتفعات وذرنغ حدة وحتمية » (« The Incert Theme in Wuthering Heights » , Nineteenth - Century Fiction, vol. 14, pp. 80 - 83, 1959).

وانا أكره أن يجلد ! لاأستطيع أن أتناول غدائي » ، وتحتقر نشيج ادغار وتبدي الملاحظة الازدرائية : « حسناً ، لاتصرخ ··· انك لست مقتولا · » وهي نفسها تصرخ بتعاطف معهيثكليف ، ولكن ذلك لم يكن الا بعد سعي شجاع الى كبح دموعها ·

وهي حتى بعد زواجها فظة وذكورية بحضور هيثكليف · انها تحتقر زوجها لصراخه ، وتزدري « نحيبه من أجل الاشياء الصغيرة » و « نكده التافه » · وتقف الى جانب هيثكليف في ذروة شجاره مع ادغار ، وعدم رحمتها هي مرعبة حقاً · انها تقول لزوجها : « اذا لم تكن لك الشجاعة لمهاجمته فاعتذر والا فدع نفسك للضرب » (الفصل الحادي عشر) ·

ومهما يكن ، فان مصدر قوتها هو هيثكليف · فمن دونه كانت تجد نفسها تدريجياً غير قادرة علىتحمل الالم أوالمحافظة على ضبطالنفس، ويتعذر عليها التحكم بمزاجها · وفي أثناء الزيارة الاخيرة التي قام بها ادغار لينتون لمرتفعات وذرنغ تفقد اتزانها في جدالها مع هيثكليف ، فبعد أن تقرص نلي دين وتصفعها تهز هيرتون الصغير « الطفل الذي زاد نموه » وتلكم ادغار على أذنه ، وتصر « أنا لم أفعل أي شيء عامدة » ، وتبدأ البكاء « في جدية بالغة » · وعندما تكبر أكثر من ذلك ، يصبح الالم لايطاق ، فتصرخ لاتفه الاسباب وتلجأ الى نوبة الشكاسة ورثاء الذات · « ان كاثرنيتنا النارية لم تكن أكثر من طفلة باكية » ،

هكذا تلاحظ نلي دين المرأة النامية التي في وسعها أن « تضرب هيرتون ، أو أي طفل ، في نوبة الغضب الصارخ » .

وزواجها بلينتون لايخدم الا في اضعافها ، والتطاحن بين هيثكليف ولينتون يدمرها في النهاية تماماً . فهي تلجأ الى « الثورات الشريرة الحمقاء » . و « كانت تستلقي وتضرب رأسها على ذراع الاريكة ، وتصر بأسنانها حتى ليخيل اليك أنها ستحطمها حتى تتناثر شظاياها» (الفصل الحادي عشر) . ان الفتاة التي استطاعت يوماً أن تبتعد عن كل أهل البيت من البالغين الغضاب هي الآن فاقدة رباطة جأشها . تتصور أن كل امرىء ضدها : « ظننت أنهم ، وان كان كل منهم يكره الآخر ويحتقره ، لايملكون أن يتخلوا عن محبتي . وفي بضع ساعات تحولوا جميعا الى أعداء لي . لقد تغير الناس هنا ، وأنا على يقين من ذلك . » (الفصل الثاني عشر) . ان أخيلتها رهيبة كأحلامها ، وأحلامها تروعها . وفي هذا الوقت هي فاقدة الاستحواذ على الواقع تماما . ترى وجهاً في الخزانة السوداء التي لم يكن لها وجود . « آه ، يانلي ! الغرفة مسكونة ! أخاف أن أكون وحدي ! »

واذن فان في حياة كاثرين القصيرة انقلابا كاملا في الادوار . فهي بالغة عندما كانت طفلة ، وحتى وقاحتها مبنية على قوة داخلية . وعندما تكون بالغة تصبح طفلة ، وألم الحياة يثبت أنه لايطاق . انها تصيح بشكل محزن : « ليتني أعود طفلة من جديد ، نصف متوحشة

وجريئة ، وحرة ··· ضاحكة على المظالم ، لامجنونة تحت وطأتها · » (الفصل الثاني عشر) · وتذكر أنها كانت قوية يوماً وتعرف أنها لم تعد قوية · وعلى ذلك فان من المنطق في حالتها الروحية أن يكون دورها لا السيدة المحبوبة التي تنادي حبيبها عند المستنقعات المنعزلة (التي ستكون بالتأكيد الامل « الرومانتيكي ») بل للفتاة الصغيرة التي تعود الى « البيت »(٨) ·

— ٢ —

عندما تعود كاثرين الى دور الطفلة تنهي حنينها الى العودة الى قوة طفولتها ، وهي الى ذلك تظهر أنها في حالة الطفولة وحدها قادرة على أن تحب هيثكليف · وبعد البلوغ لم يعد في وسعها أن تحول ميلها الطفولي الى التماثل (تقول « أنا هيثكليف » ولكن المرء لايتزوج نفسه ، نوعه) الى عاطفة اتحاد الضدين · وزواجها بلينتون ، الشخص الضعيف اللين المحترم ، هو في جوهره فرار من المطالب الجنسية للبالغ ، وهي ترى أنه ليس ثمة خيانة لهيثكليف في هذا الفرار · وهيثكليف هو

---

(٨) عن موضوع شغف املي برونتي بالبيت كتب ج.س . سميث J. C. Smith « ان حب البيت هو حبها المسيطر لبيت طفولتها » (« Emily Brontë : A Reconsideration », Essays and Studies, vol. 5, 1914, p. 144).

ويؤكد ريتشارد تشيس أن « الطفولة هي الثيمة الاساسية في كتابات املي برونتي : (« The Brontes : A Centennial Observance », Kenyon Review, vol. 9, 1947, p. 505).

عندها ، وسيظل دائماً ، محبها « الطفولي » المتوحش ، ولينتون هـو المحب « البالغ » المحترم ، والمحبان منسجمان عندها كل الانسجام · انها لاتغار على هيثكليف وتستطيع أن تفهم غيرته عليها ، هي ببساطة ترى « حبها » له مختلفاً كل الاختلاف عن « حبها » للينتون ·

وانها على حق · فـ « الحب » الذي تستطيع أن تقدمه لهيثكليف ما هو الا « الحب » الذي قدمته له طفلة ـ وهو تماثل خشن ذكوري ، نشأ في الالم ، وعبر عنه الالم ـ ولكن ليس فيه مايشبه حب البالغ الطبيعي : لاشبق ، ولاجنس ، ولا لذة ، ولا اشباع(٩) · و « حبها » معبر عنه في الالم والكره والاتهام المضاد القاسي · وشد الشعر والقرص هما نموذجاها للتعبير الجسدي · ومن المؤكد أنه لايمكن تصور مشهد خال من الجنس وشاذ أكثر من المشهد الاخير بينها وبين هيثكليف(١٠) : تقول له « لن

(٩) ان شذوذ حبهما ينعكس في العديد من قصائد الحب عند املي برونتي ، وفي ذلك يقول تشارلز مورغان Charles Morgan «لم تكن ثمة في اي وقت قصائد حب أكثر تحرراً من قصائدها ذات اللغة المجازية الجنسية» « Emily Brontë », The Great Victorians, ed. H. J. and Hugh Massingham, 1932, p. 79.

(١٠) يشك المرء في ان بعض النقاد يقرأون هذا المشهد والدموع مغرورقة في عيونهم . وهكذا فان جيمس فذرنغهام James Fotheringhom يذهب الى أن « هيثكليف يصب كل عاطفته ، المحاطة بالسخرية والاحساس بالخطأ ــ وكاترين ذابلة ، منهوكة القوى ، ولكنها جميلة فاتنة كما كانت ــ وهيثكليف تتنازعه عاطفة الحب وعاطفة الثورة ، وهو متوحش وحنون في مزاج متوهج من الحب اليائس « The Work of Emily Mrontë and the Brontë Problem », Transcations of the Brontë Society, vol. 2 pp. 122 - 190). ان هذا سخيف : فهيثكليف لاينغمس هنا في السخرية ، ومن المؤكد أنه « لايحيطه احساسه بالخطأ ، وكاترين يمكن بصعوبة أن تعد « جميلة » كما كانت ، وهيثكليف ليس حنونا ، ومزاجه ليس « متوهجا » ولا « يائسا » .

أهتم بما آلمك ٠ ولن أبالي بشيء من آلامك ٠ ولماذا لاتتألم ؟ » فيستطيع أن يجيبها في لطف : « ألا يكفي أنانيتك الجهنمية أنك بينما تنعمين بالطمأنينة سوف أتلوى في عذاب الجحيم ؟ » (الفصل الخامس عشر) ٠ ولم يكن في وسعهما أن يتقابلا الا في الالم والحزن : « اذا أحزنتك كلمة مني فيما بعد ، فأظن أنني سأشعر بالحزن نفسه تحت الثرى » ٠

لأن كاثرين لم تكن قادرة على مواجهة حاجات الجنسية البالغية ٠ ويثأر هيثكليف بغرض الجنسية البالغية على الطفلين ، طفلها وطفله ٠ و « الحب » بين لينتون وكاثي يواجه على نحو مروع الحب بين أبويهما ٠ وفي حين أن الأبوين مخلصان لبعضهما مع سرعة في الغضب ولكنهما لايجدان وسائل وافية للتعبير ، فان لليافعين وسائل تعبير مفروضة عليهما حتى ولو وجد كل منهما الآخر بغيضاً كل البغض ٠ ولينتون لايستطيع أن يتحمل النساء ٠ ولأنه عذبه حضور كاثي بما فيه الكفاية ، فمسموح له ـ لراحته التي لاتوصف ـ أن ينام مع هيرتون ٠ وعلى أية حال ، فان لينتون يقتل أخيرا ٠ ويكتمل الثأر (١١) ٠

---

(١١) على الرغم من انعزال منطقة مرتفعات وذرنغ الواضح عن بقية انكلترا ، فان بعض النقاد يلحقون على رؤية دلالة اجتماعية في « تمـرد هيثكليف » . وهكذا فان آرنولد كيتل Arnold Kettle يماثل بين هيثكليف والطبقة العاملة ، « قد حطت بقدره جسديا وروحيا شروط هذا المجتمع [الفيكتوري] وعلاقاتـه » (« Emily Brontë », Am Introduction to the English Novel, vol. I, Hutchinron, يبدو لي أن هذا (يحرف) معنى هيثكليف ويقصره على التمرد . والمستر كيتل يذكرنا بحق أن « هيثكليف لم يولد في صفحات بيرون ، بل في حي الفقراء في ليفربول » (ص ١٣٩) . ولكن ما هو اهم من ذلك أن هيثكليف ولد غجريا وانه كثيرا ما كان يتصرف كانه قد انتسب مباشرة الى مجلد بيرون .

— ٤ —

بمقتل لينتون تصبح المعاني الضمنية الرهيبة لثيمة قتل الاطفال واضحة : فما دامت الطفولة هي مصدر الانحراف ، فمن المنطقى أن يكون الأطفال خائفين ، مكروهين ، وفي النهاية مقتولين . وقد كانت « الطفلة » في كاثرين هي التي دمرت الحب بينها وبين هيثكليف ، و « الطفل » في لينتون هو الذي يكرهه هيثكليف : انه يفرض « الحب البالغي » على ابنه وكاثي وهو يعلم حق العلم أن مثل هذا الحب لايمكن احتماله البتة . العين بالعين ، والسن بالسن(١٢) .

ان قصة « الحب » العظيمة في « مرتفعات وذرنغ » اذن تبدأ بالانحراف وتنتهي بالانحراف(١٣) . وينمو « الحب » بين كاثرين

---

(١٢) برأيي أن هيثكليف ، بوصفه مخلوقا فنيا ، غير مقنع كل الاقتناع . واقوى الاتهامات التي اتهم بها هيثكليف هي من ميوربيل سبارك وديرك ستانفورد Muriel Spark and Derek Stanford, Emily Mrontë, Ouen, 1953, pp. 254 - 6. ومن ماري فيسيك Mary ,Vicick, The Genesis of Wuthering Heights Hong Kong University Press, 1958, pp. 74 - 81. ويبقى اقوى دفاع عن هيثكليف من مي سينكلير May Sinclair, The Ihree Brontës, Borton and New York, 1912, pp. 244 - 52.

(١٣) يقول اللورد ديفد سسل Lord Davil Cecil ان « رؤية املي برونتي تسير في تضاد مالوف بين الخير والشر » (« Emily Brontë and Wictorian Heights » , Early Victorian Novelirts , Collins, 1934 , p. 154)

وبصر س. دي لويس C. Day Lewis أن « في التناقض الرهيب العنيد للرواية ... حل الهوى محل الرحمة بوصفه تبريرا لامتطاء القانون الاخلاقي » انظر (Notable Images of Virtue, 1954, Toronto, p. 10). كذلك Ruth Adams, « Wuthering Heights : The Land Eaet of Eden », Nineteenth - Gentury Fiction, vol. 13, 1958, p. 59.

وهيثكليف تحت تهديد قتل الاطفال الرهيب ، ولايخضع للتحول الى النضج ، فيبلغ الذروة في الانتقام من الجيل التالي • والنجاة الوحيدة هي الموت ، ويتوق كل من كاثرين وهيثكليف بعمق الى الموت • تقول كاثرين : « أشد مايضايقني هو هذا السجن المحطم ، وأنا فوق ذلك تعبة ، تعبة من انحباسي هنا • انني ضجرة أود أن أهرب الى ذلك العالم المجيد ، وأن أظل فيه أبداً ••• معه وفيه حقيقة » (الفصل الخامس عشر) • وهيثكليف تواق مثلها الى الموت • وما أن يقتل ابنه حتى يود عامدا أن يموت • ان هؤلاء الناس يأخذون الحياة بسعتها ويختارون أن يموتوا ، وماذلك الا لأن الحياة لم تحقق لهم متطلباتهم • وفي النهاية ، يرى الغلام الراعي « هيثكليف وامرأة » (لم تعد طفلة) يطوفان بحرية وسعادة حول المستنقعات • الا أن نهاية كهذه لايمكن أن تتحقق في الحياة • فالحياة لم تكن غير الألم والكره والانحراف • والجزية المدفوعة للقدرات الشعرية الممتازة عند املي برونتي هي أنها خدعت أجيال القراء وجعلتهم يعتقدون أنهم كانوا يقرؤون قصة حب جميلة رومانتيكية مجيدة حقاً(١٤) •

---

(١٤) كان هدف هذا التحليل ، في جانب منه على الاقل ، أن يلغي تلك التفسيرات كالتفسير الذي قدمه ملفين . ر. واطسون Melvin. R. Watson : « ان « مرتفعات ونرنغ » ، اذن دراسة سيكولوجية للانسان الاولي الذي تمزقت روحه بين الحب والبغض ... ففي هيثكليف عبثا يبحث المرء عن الاخلاق أو الفضائل المسيحية ،

انــه روح بدائيــة وثنيــة ، علــى الرغــم مــن أن الحب يقهر حتــى هيثكليف في النهايــة»
(« Tempest in the Soul : The Theme and Structure of Wuthering Heights », Ninteenth - Century Fiction, vol. 4, 1949, pp. 89 - 90)

يبدو لي أن هذا التفسير يذعن كثيرا الى سلطان الحب (بمعنى « الاخلاق والفضائل المسيحية ») . وهو يتضمن التطهر مــن الشــر في روح هيثكليف . الحــب يقهــر البغض . والــرأي عنــدي أن هــذا هــراء . فهيثكليف لايشعــر بالصــراع بــين « الحـــب » والبغض ، ولا يقــوم بتنازلات للحــب أو الاخــلاق التقليديــة ، وهو ببساطة يصبــح في النهايــة منهوكــا . وعندمــا يتغلــب الحــب علــى البغض ــ كمــا في حــب كاثــي تهــذب هيرتون وتعلمه أن يتخلص من كل خشونة فيــه . عــن هــذه النقطــة راجــع : Dorothy Van Ghent, « The Window Figure and the Two - Children Figure in Wuthering Heights », Nineteenth - Century Fiction, vol. 7, 1959, pp. 189 - 97. علــى أن هــذا النصر يكلف ثمنــا باهظــا . وكمــا يقــول مــارك شــرر : « أهــو عظمــةأخلاقيــة ؟ ليس أبــدا ، وانمــا مشهد تدميري للخراب ، مشهد الانقاض » ,(Technique as Discovery », in Forms of Moder Fiction, ed. William Van وقد كتب في هذه النقطة نسها ج. د. كلينغو بولوس G. D. Klingopulos, « The Novel as Dramatic Poem (2) Wuthering Heights, Serutiny, vol. 14, 1946, p. 284.

□ □ □

قصـــتان مـــن اســبانيا

* ترجمة مصطفى المهماة

نشرت مجلة ((سطافيطا الجديدة)) التي تصدرها وزارة الثقافة الاسبانية ، في عددها الاخير (١٢) نوفبر ١٩٧٩ ، مجموعـــة من القصص القصيرة ، التـــي فـــازت في مبـــاراة ((القصة القصيرة)) .

ونظرا لاهمية القصص الفائزة ، فقد ارتأيت أن أترجمها ، حسب ظروفي الزمنية ، ليطلع عليها القارىء العربي ، على ما تنتجه قرائح الكتاب الاسبان .

الــورق المثـــنى PAPIRO FLEXIA

■ البرتو أومــر ALBERTO - OMAR

يعجبني صنع الحيوانات الصغيرة من الورق ، ويسمى هـذا ثنـي الورق ، لعب هادىء وجميل ، البارحة أو منذ قرن . لعلي في هذا الصباح، صنعت حيوانا صغيرا بورق أزرق وآخر أبيض . كان حيوانا صغيرا لان له أربعة قوائم وجسم ورأس . ولا أعرف من أي نوع . كان هناك في الزاوية،

وعندما رجعت رأيته يأكل فطوري ٠ ولم أحرمه ، بل بالعكس أتيت له بالكثير من الحليب ووضعته في الصحن لمعرفة ما اذا كان سيقبله اقترب وشرب الحليب بطقطقات ناعمة ومقنعة ، انظر اليه ، وفكرت في صنع حيوانات صغيرة أخرى من الورق : كثيرا ، ولكن من بعد (ربما البارحة ، أو بعد لحظة ، وربما في العام الماضي) ٠ انتهت لي الوريقات ، فضلت الاستمرار في الكتابة ٠

سحبت الحيوان الصغير ، وكتبت عليه ، كان جد مؤلم ٠

□ □ □

أفرشة مفصولة

■ ماريا دل كرمين أرياس

يعمل البرد في الخارج ، ربما كان الناس غير محظوظين ولكن قالوا لي : في هذه الليلة لن نذهب الى أي مكان : كنت جميلة جدا ،الجمال يخلق مني سعيدة ، أنا كنت كل هذا ، ولم يكن في الا الامل ، منذ هذه اللحظة التي أعيشها ، طائرة بالسعادة ، في انتظار اللقاء ٠

يسمونه اللقاء ، ولكن ليس هذا بالتمام، كنا مجتمعين طول اليوم٠ كان الليل ، وأنا كنت متأثرة بالعاطفة ، لانها تعني الكثير من الاشياء :

الحب ، قل لي : أحبك أشعر بالسعادة ، وضمان الضمة ، بل ضمات وأعطي أهمية قسوى للذي حدث ٠

أتذكر الكثير من الاشياء : في احدى المرات كانت سيدة تظن أنـي طائشـة (الحقيقة لم أكن) وقالت لي في أي وقت ستتزوجين ، متى ؟ وأجبتها : والآخر ؟

وأثرت فيها الكثير من السخرية ٠

لماذا هي لاتحسب هذا ؟ الاخر بالنسبة الينا ، له الكثير من الاهمية ، الضجع ، ليضمك ، ليكون جسمك شيئا عاطفيا ، حلوا سعيدا ، وكذلك - لماذا لا - يصلح لشخصين يكونان سعيدين احساس بالتأكيد يخلف الهراء لاشيء له أكثر قيمة من هذا : والاخر الذي يحبك ، وتحبه من كل أعماق نفسك ،والاخذ بالحياة نفس الخطوة ، ونفس الساعة ، اذا تشعر بالهدوء ، وليس عندك خوف من الحياة ٠

هذه الحيـاة القاسية التـي تدفعنـا للعيش ، مـع الكثيريـن مـن الاشخاص الاشرار ٠

في نهار جميل الكل سينتهي ، لماذا ؟ الحب في الفراش ؟ هكـذا ، حسنا ٠ بالنسبة الييهمني التفاهـم والصراحـة ، والحـق ، الحـق ، الصداقة ، التي تضع الدراع على الرجل ، لا أعرف الحياة أهـي هكـذا لاتذكر حياتي ٠ في مرة قال لي : اشترى كأسين جميلين ورسمهما أحقا ٠ نعم ٠ كم يعني هذا كانا وسيكونا ٠ كأسينـا على طول الحياة أشتري

كؤوساً جميلة وفريدة ، وأكتب عليها نعم ، الحق جميل ، كان حقا:كانوا كؤوسنا (كان أول من كسر) كانت أفرشة مفصولة ، وأفكار مفصولة، وأيادي لاتلتقي · والآن ماذا ، والآن ، أوَجَدَ من غير حماية ، وأحتِيلَ عليّ كثيرا ·

انتظر في يوم ما ، أعثر على غطاء ليغطي أجسامنا ، واحتكاك لأحيائنا وذاك قد انتهى ، ولو بطريقة أخرى والذكرى لها شيء من العاطفة ، أرغب من كل قلبي ، لاني أشعر حزينة في هذا العالم القاسي والعاسف الذي يضطهدنا ولا يوجد له أكثر من نهاية : فعل الالم ·

□ □ □

محتوى العـدد